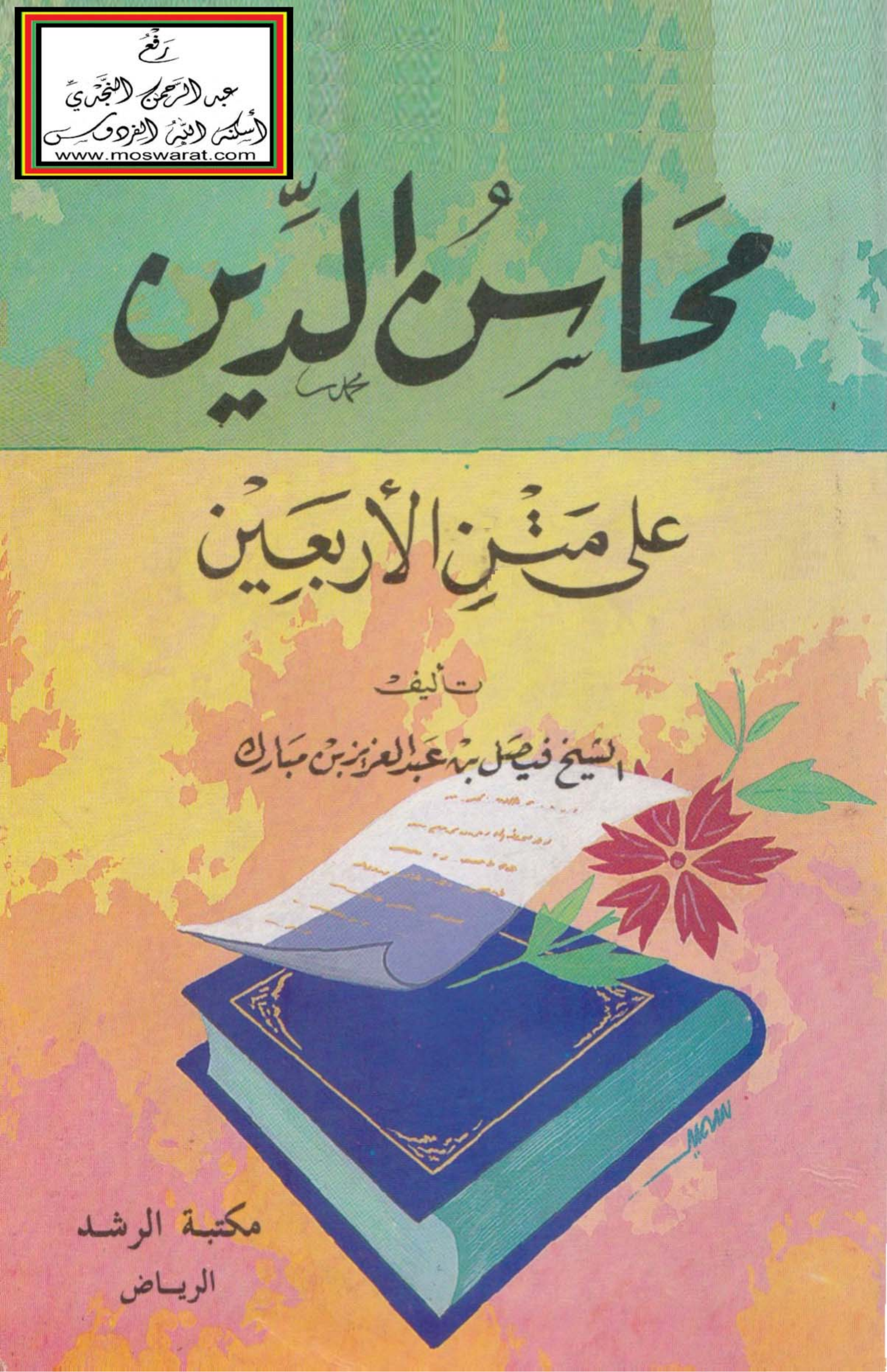


رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
محاسن الدين
على متن الأربعين
تأليف
الشيخ فيصل بن عبد العزيز بن مبارك
مكتبة الرشد
الرياض



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

# محاسن الدين

## على متن الأربعين

تأليف

الشيخ فيصل بن عبد العزيز بن مبارك

مكتبة الرشد
الرياض

□ حقوق الطبع محفوظة □

□ الطبعة الأولى □

□ ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م □

الناشر

مكتبة الرشد للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية الرياض طريق الحجاز

ص.ب : ١٧٥٢٢ الرياض : ١١٤٩٤ هاتف : ٤٥٨٣٧١٢



تلكس : ٤٠٥٧٩٨ فاكس ملي : ٤٥٧٣٣٨١

فرع القصيم بريدة حى الصفراء

ص.ب : ٢٣٧٦ هاتف وفاكس ملي : ٣٨١٨٩١٩

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

# محاسن الدين على متن الأربعين [1]

الحمد لله رب العالمين، قيوم السموات والأرضين، مدبر الخلائق أجمعين، باعث الرسل صلواته وسلامه عليهم إلى المكلفين، لهدايتهم وبيان شرائع الدين بالدلائل القطعية وواضحات البراهين، وأحمده على جميع نعمه، وأسأله المزيد من فضله وكرمه، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار، الكريم الغفار، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وحبيبه وخليله أفضل المخلوقين المكرم بالقرآن العزيز، المعجزة المستمرة على تعاقب السنين، وبالسنن المستنيرة للمسترشدين،

(١) ولتمام النفع أكملناها خمسين حديث من كتاب جامع العلوم والحكم لإبن رجب الحنبلي.

المخصوص بجوامع الكلم وسماحة الدين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين والمرسلين، وآل كل وسائر الصالحين.

**أما بعد:** فقد روينا عن على بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وأبى الدرداء وابن عمر وابن عباس وأنس بن مالك وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهم من طرق كثيرات بروايات متنوعات أن رسول الله ﷺ قال: « من حفظ على أمتى أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فى زمرة الفقهاء والعلماء ».

**وفى رواية:** « بعثه الله فقيهاً عالما ». وفى رواية أبى الدرداء: « وكنت له يوم القيامة شافعًا وشهيداً ». وفى رواية ابن مسعود: « قيل له ادخل من أيّ أبواب الجنة شئت ».

ابتدأ المصنف رحمه الله كتابه بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز، وعملا بحديث: « كل أمر ذي بال لا يبتدأ فيه ببسم الله فهو أبتر » أي ناقص البركه. والمصنف هو الإمام العالم

الربانى أبو زكريا يحيى بن شرف النووى الشافعى. ولد سنة إحدى وثلاثين وستمائة، حفظ القرآن قبل البلوغ، وكان فقيهاً زاهداً، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم، وصنف التصانيف النافعة المشهورة. وتوفى سنة ست وسبعين وستمائة رحمه الله تعالى.

( قوله: بالقرآن العزيز المعجزة » أي لأنه أعجز الناس أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله ( قوله: بالسنن المستنيرة للمسترشدين ) أي الطالبين للرشاد. والسنن ماسنه النبى ﷺ: أي شرعه فرضا أو نفلا ( قوله: المخصوص بجوامع الكلم وسماحة الدين ) جوامع الكلم: أن تجمع المعانى الكثيرة فى اللفظ القليل. قال ﷺ: « أعطيت جوامع الكلم واختصر لى الحديث اختصاراً » ( قوله: وسماحة الدين ) أي سهولته. قال تعالى: ﴿ **وما جعل عليكم في الدين من حرج...** ﴾ [ الحج ٧٨ ] بخلاف الأمم السابقة قبلنا ( قوله: وعلى سائر

النبيين والمرسلين ) . فى مسند الإمام أحمد: أن عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، والرسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر ( قوله: وآل كل ) أي أقاربهم المؤمنين بهم وسائر الصالحين: أي القائمين بحقوق الله وحقوق عباده ( قوله: من حفظ على أمتى أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فى زمرة العلماء والفقهاء ) . وفى الحديث الصحيح عن النبى ﷺ : « نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها » . وقال ﷺ « ليبلغ الشاهد منكم الغائب » فيجب التبليغ على أهل العلم وكل من تعلم مسئلة فهو من أهل العلم بها، وبالله التوفيق.

فينبغى لكل طالب علم أن يحفظ هذه الأربعين لأنها مشتملة على مسائل مهمة فى أصول الدين وفروعه وآدابه، وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين « والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

## ( الحديث الأول )

عن أمير المؤمنين أبى حفص عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، من كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

رواه إماما المحدثين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخارى، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى فى صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة.

هذا حديث جليل متفق على صحته،، وعظيم موقعه، وكثيرة فوائده، وهو أحد الأحاديث التى عليها مدار الإسلام. قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: يدخل فيه ثلث العلم. قال البيهقى: وسبب ذلك أن كسب العبد يكون بقلبه ولسانه وجوارحه، وروى عن الشافعى رحمه الله تعالى أنه قال: يدخل هذا الحديث فى

سبعين بابا من الفقه، واستحب العلماء أن تستفتح المصنفات بهذا الحديث تنبيهاً للطالب على تصحيح النية ( قوله ﷺ: إنما الأعمال بالنيات ) إنما للحصر: أي لا يعتدّ بالأعمال الشرعية بدون النية. قال البخارى: باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرئ ما نوى، فدخل فيه الإيمان والوضوء والصلاة والزكاة والحج والصوم والأحكام ( قوله: وإنما لكل امرئ ما نوى ) قال القرطبى: فيه تحقيق لاشتراط النية والإخلاص فى الأعمال. وقال ابن عبد السلام: الجملة الأولى لبيان ما يعتبر من الأعمال. والثانية لبيان ما يترتب عليها. قال أبو داود: كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث، انتخبت منها ما تضمنه هذا الكتاب يعنى كتاب السنن، جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث، ويكفى الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث: أحدها قوله ﷺ: « إنما الأعمال بالنيات » والثانى قوله ﷺ: « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه ». والثالث قوله ﷺ: « لا يكون المؤمن مؤمنا حتى لا يرضى لأخيه ما يرضى لنفسه ». والرابع قوله

ﷺ: « الحلال بين والحرام بين ». ( قوله: فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله ) أي من كانت هجرته إلى الله ورسوله نية وقصداً، فهجرته إلى الله ورسوله حكما وشرعا ( قوله: ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه ) ذكره بالضمير تحقيراً له، وليتناول ما ذكر من المرأة وغيرها، وهذا الحديث له سبب: وهو أن رجلا هاجر من مكة إلى المدينة ليتزوج امرأة يقال لها أم قيس، لا يريد بذلك فضيلة الهجرة، فكان يقال له مهاجر أم قيس. والهجرة فى اللغة الترك. وفى الشرع الانتقال من دار الكفر إلى دار الإيمان. وهى واجبة على القادر عليها، العاجز عن إظهار دينه وأداء واجباته. ومستحبة للقادر على إظهار دينه لمعونة المسلمين، والأمن من غدر الكفار، وأما القادر على إظهار دينه وأداء واجباته، الداعى إلى الله على بصيرة، فالإقامة له أفضل لما يترجى من دخول غيره فى الإسلام.

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

## ( الحديث الثانى )

عن عمر رضى الله عنه أيضا قال: « بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ: ذات يوم إذا طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرنى عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال: صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرنى عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن باللهوملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال فأخبرنى عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرنى عن الساعة؟ قال: ما

المسئول عنها بأعلم من السائل. قال فأخبرنى عن أماراتها؟ قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان ثم انطلق، فلبثت ملياً، ثم قال: يا عمر! أتدرى من السائل؟ قلت الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » رواه مسلم.

هذا حديث عظيم مشتمل على جميع الأعمال الظاهرة والباطنة، وعلوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه، فهو كالأم للسنة، كما سميت الفاتحة أم القرآن، لما تضمنته من جمعها معانى القرآن ( قوله: إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ) فيه دليل على تحسين الثياب والهيئة والنظافة عند الدخول على العلماء والفضلاء والملوك ( قوله: ووضع كفيه على فخذيه ) أي على فخذى النبى ﷺ كأنه من جفاة الأعراب، وقيل على فخذى نفسه: أي جلس جلسة المسترشد ( قوله: وقال يا محمد أخبرنى عن الإسلام إلى آخره ) فيه دليل على أن الإيمان أخص من الإسلام لأنه سأل عن الإسلام، ثم عن الإيمان، ثم عن

الإحسان؛ فترقى من الأعم إلى الأخص ثم إلى الأخص منه، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئًا إن الله غفور رحيم** ﴾ [الحجرات ١٤]. وقد يطلق الإسلام ويراد به الإيمان، كقوله تعالى: ﴿ **إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين** ﴾ [البقرة ١٣١] فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنا ( قوله: فعجبنا له يسأله ويصدقه ) أي لأنه سأل سؤال عارف محقق مصدّق. وفي رواية: « قال القوم ما رأينا رجلا مثل هذا كأنه يعلم رسول الله ﷺ يقول له صدقت صدقت ». ( قوله: قال فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ) الإيمان بالله: هو التصديق بأنه سبحانه وتعالى موجود، مستو على عرشه، بائن من خلقه، موصوف بصفات الجلال والكمال، منزه عن صفات النقص؛ وأنه واحد أحد فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، لا إله غيره، ولا رب سواه. والإيمان بملائكته

هو التصديق بأنهم عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون. والإيمان بكتبه التصديق بأنها كلام الله، وأن ما تضمنته حق. والإيمان برسله هو تصديقهم فيما أخبروا به عن الله تعالى، أيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم، وأنهم بلغوا عن الله رسالاته، وبينوا للمكلفين ما أمرهم الله به. قال الله تعالى: ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** ﴾ [البقرة ٢٨٥] والإيمان باليوم الآخر هو التصديق بيوم القيامة، وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت والحشر والنشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار ( قوله: وتؤمن بالقدر خيره وشرّه ) أي تصدق بأن ما وقع من شيء فهو بتقدير الله عزّ وجلّ. والمراد أن الله تعالى علم الأشياء قبل إيجادها، ثم أوجد ما شاء منها، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته. قال الله تعالى: ﴿ **إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾ [القمر ٤٩] وقال تعالى: ﴿ **ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل**

أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ﴾ [الحديد ٢٢] وقال تعالى: ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هولاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا* ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ...﴾ [النساء ٧٨، ٧٩] أي بذنبك. يا ابن آدم، والجميع بقضاء الله وقدره كما قال تعالى: ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ وقال تعالى: ﴿ ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم ﴾. ( قوله: فأخبرنى عن الإحسان؟ قال ان تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك). إحسان العبادة: الإخلاص فيها والخشوع ومراقبة المعبود. وأشار ﷺ إلى حالتين: أرفعهما أن يغلب على العبد مشاهدة الله بقلبه حتى كأنه يراه بعينه. والثانية: أن يستحضر أن الله مطلع عليه يرى كل ما يعمل. قال الله تعالى: ﴿ وتوكل على العزيز الرحيم* الذيّ يراك حين تقوم* وتقلبك في الساجدين* إنه

هو السميع العليم ﴾ [الشعراء ٢١٧-٢١٩] وقال تعالى: ﴿ وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴾ [يونس ٦١] قال بعض العارفين: من عمل لله على المشاهدة فهو عارف، ومن عمل على مشاهدة الله إياه فهو مخلص. وقال بعضهم: توكل على الله حتى يكون جليسك وأنيسك وموضع شكواك ( قوله: قال فأخبرنى عن الساعة؟ قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل ) أي لا أعلمها أنا ولا أنت ولا أحد من الخلق، بل لا يعلم وقت مجيئها إلا الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لاتأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفيّ عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [الأعراف ١٨٧]. وقال تعالى: ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما

**تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾** [لقمان ٣٤].

(قوله: فأخبرنى عن أماراتها ) أي علاماتها ( قوله: أن تلد الأمة ربتها ) أي سيدتها. وفى رواية: « ربها » أي يكثر التسرى فيكون ولد الأمة من سيدها بمنزلة سيدها لشرفه بأبيه، وقيل معناه أن يكثر العقوق فى الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة والسب. وأشراط الساعة على قسمين: ما يكون من نوع المعتاد كالمذكور فى هذا الحديث وغيره وهى أشراطها الصغار. والقسم الثانى غير المعتاد وهى أشراطها الكبار: كخروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة من الأرض، وطلوع الشمس من مغربها ( قوله: وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان ) فى رواية البخارى: « وإذا تطاول رعاة الإبل البهم فى البنيان ». قال القرطبى: المقصود الإخبار عن تبدل الحال بأن يستولى أهل البادية على الأمر، ويتملكوا البلاد بالقهر، وتنصرف هممهم إلى تشييد البنيان والتفاخر به، ومنه الحديث الآخر: « لا تقوم الساعة حتى

يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع » ومنه: « إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » ( قوله: ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال: يا عمر أتدرى من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ) فى رواية الترمذى والنسائى «فلبثت ثلاثا ». وفى رواية البخارى عن أبى هريرة: « ثم أدبر فقال ردوه فلم يروا شيئاً، فقال هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم » وفى صحيح ابن خزيمة: « ثم نهض فولى فقال رسول الله ﷺ: علىّ بالرجل فطلبناه كل مطلب فلم نقدر عليه، فقال: هل تدرون من هذا؟ هذا جبريل أتاكم ليعلمكم دينكم خذوا عنه، فوالذى نفسى بيده ما شبه علىّ منذ أتانى قبل مرتى هذه وما عرفته حتى ولى »، وجمع النووى بين الحديثين بأن عمر لم يحضر قول النبى ﷺ فى المجلس بل كان ممن قام إما مع الذين توجهوا فى طلب الرجل أو لشغل آخر ولم يرجع، فأخبر النبى ﷺ الحاضرين فى الحال ولم يتفق الإخبار لعمر إلا بعد ثلاثة أيام. قال القاضى عياض: اشتمل هذا الحديث على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من

عقود الإيمان ابتداء وحالا ومآلا، ومن أعمال الجوارح ومن إخلاص السرائر، والتحفظ من آفات الأعمال حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه، ومتشعبة منه، والله أعلم.

## ( الحديث الثالث )

عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان » رواه البخارى ومسلم.

( قوله: بني الإسلام على خمس ) أي خمس دعائم، وفى رواية: « بني الإسلام على خمسة » أي خمسة أركان، فمثل الاسلام بالبنيان الذى لا يثبت إلا على خمس دعائم فلا يثبت البنيان بدونها، وبقية خصال الاسلام كتتمة البنيان ( قوله: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ) أي الايمان بالله

ورسوله. ولمسلم: « على خمس: على أن توحد الله عز وجل »، وفى رواية: « على أن توحد الله وتفكر بما دونه ». ( قوله: وإقام الصلاة ) فى صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه قال: « بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة ». وخرّج محمد بن نصر المروزى من حديث عبادة ابن الصامت رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « لا تترك الصلاة متعمدا، فمن تركها متعمداً فقد خرج عن الملة ». وفى حديث معاذ رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة » فجعل الصلاة كعمود الفسطاط الذى لا يقوم الفسطاط إلا به، ولو سقط العمود لسقط الفسطاط ولم يثبت بدونه. وقال عبد الله بن شقيق: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون من الأعمال شيئاً تركه كفر غير الصلاة ( قوله: وإيتاء الزكاة ) هى الركن الثالث من أركان الاسلام. قال الله تعالى ﴿ وأقيمو الصلاة وآتوا الزكاة ﴾. وقال تعالى: ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ [البينة ٥]

وفى الحديث عن النبى ﷺ: « صلاتنا وزكاتنا أختان؛ فمن لم يزك فلا صلاة له ». ( قوله: وصوم رمضان ) هو الركن الرابع من أركان الاسلام. قال الله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ [البقرة ١٨٣]. وفى الحديث عن النبى ﷺ: « من أفطر يوما من رمضان لغير عذر لم يقضه صيام الدهر وإن صامه ». ( قوله: وحج البيت ) هذا الركن الخامس من أركان الإسلام. قال الله تعالى: ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين** ﴾ [آل عمران ٩٧] وقال النبى ﷺ: «السبيل الزاد والراحلة ». وقال عطاء الخراسانى الدين خمس لا يقبل الله منهن شيئاً دون شيء، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله،وإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبالجنة والنار، والحياة، بعد الموت هذه واحدة. والصلوات الخمس عمود الدين لا يقبل الله الإيمان إلا بالصلاة. والزكاة طهور من الذنوب، ولا يقبل الله الإيمان ولا الصلاة إلا بالزكاة، فمن فعل هؤلاء

الثلاث ثم جاء رمضان فترك صيامه متعمداً لم يقبل الله منه الإيمان ولا الصلاة ولا الزكاة، فمن فعل هؤلاء الأربع ثم تيسر له الحج فلم يحج ولم يوص بحجته ولم يحج عنه بعض أهله لم يقبل الله منه الأربع التى قبلها ( قوله: وحج البيت، وصوم رمضان ) هكذا وقع بتقديم الحج على الصوم، وفى رواية لمسلم: بتقديم الصوم على الحج « فقال رجل والحج وصيام رمضان. فقال ابن عمر: لا صيام رمضان والحج هكذا سمعت من رسول الله ﷺ » هذا الحديث أصل عظيم فى معرفة دين الإسلام، وبالله التوفيق.

## ( الحديث الرابع )

عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: « إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه

وأجله وعمله وشقى أو سعيد. فوالله الذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وأن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » رواه البخارى ومسلم.

( قوله: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق ) أي الصادق فى قوله، المصدوق فيما يأتيه من الوحى الكريم ( قوله: إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ) النطفة المنى « ثم يكون علقة مثل ذلك » أي أربعين يوما، والعلقة قطعة من دم « ثم يكون مضغة مثل ذلك » والمضغة قطعة من لحم ( قوله: ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ) قال الله تعالى: ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين* ثم جعلناه نطفة في قرار مكين* ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن

**الخالقين* ثم إنكم بعد ذلك لميتون* ثم إنكم يوم القيامة تبعثون* ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين ﴾** [المؤمنون ١١-١٦] وقال تعالى: **﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم، ومنكم من يتوفى، ومنكم من يرد إلى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئًا... ﴾** [الحج ٥].

( قوله: ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله، وشقى أو سعيد ) أى وهو شقى أو سعيد. وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال: « إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ».
وفى حديث عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ قال: « أول ما خلق الله القلم، فقال له أكتب فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة ».
وفى الصحيحين عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: « ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من

الجنة أو النار. فقال رجل يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ فقال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، وأما أهل السعادة فسييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿ **فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى * وكذب بالحسنى * فسنيسره للعسرى** ﴾ [الليل ٥-١٠]. وقال تعالى: ﴿ **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير** ﴾ [الحديد ٢٢]. وقال تعالى: ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب** ﴾ [الرعد ٣٩].
(قوله: فو الله الذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ). وفى الصحيحين عن سهل بن سعد « أن النبى ﷺ التقى هو المشركون وفى أصحابه رجل لا

يدع شاذة ولا فاذة إلا تبعها يضربها بسيفه فقالوا ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ: هو من أهل النار، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه فاتبعه فجرح الرجل جرحاً شديداً فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه على الأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله، وقص عليه القصة. فقال رسول الله ﷺ: إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة إنما الأعمال بالخواتيم ». قال ابن رجب: وقوله فيما يبدو للناس إشارة إلى أن باطن الأمر يكون بخلاف ذلك، وأن خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس، إما من جهة عمل سيء أو نحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت، وكذلك قد يعمل الرجل عمل أهل النار وفى باطنه خصلة خفية من خصال الخير فتغلب عليه تلك الخصلة فى آخر عمره فتوجب له حسن

الخاتمة. قال عبد العزيز بن أبى رواد: حضرت رجلاً عند الموت يلقن الشهادة لا إله إلا الله، فقال فى آخر ما قال: هو كافر بما تقولون ومات على ذلك. قال: فسألت عنه فإذا هو مدمن خمر. وكان عبد العزيز يقول: اتقوا الذنوب فإنها هى التى أوقعته، وفى الجملة فالخواتيم ميراث السوابق، فكل ذلك سبق فى الكتاب السابق، وخرّج الإمام أحمد من حديث أم سلمة « أن النبى ﷺ كان يكثر فى دعائه أن يقول: « اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك، فقلت: يا رسول الله أو إن القلوب لتتقلب؟ قال نعم؟ ما خلق الله من بنى آدم من بشر إلا أن قلبه بين أصبعين من أصابع الله عز وجل، فإن شاء الله عز وجل أقامه، وإن شاء ازاغه، فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب، قالت: قلت يا رسول الله ألا تعلمنى دعوة أدعو بها لنفسى؟ قال بلى: قولى: اللهم رب النبي محمد ﷺ اغفر لى ذنبى. وأذهب غيظ قلبى، وأجرنى من مضلات الفتّن ما أحييتنى » وفى هذا المعنى أحاديث كثيرة

انتهى. وفى الحديث إثبات القدر، وأن جميع الواقعات بقضاء الله تعالى وقدره خيرها وشرها، وأن الأعمال بالخواتيم والله أعلم.

وقال ابن دقيق العيد: لما كانت السابقة مستورة عنا، والخاتمة ظاهرة جاء فى الحديث: « إنما الأعمال بالخواتيم » إلى أن قال: وانقلاب الناس من الشر إلى الخير كثير، وأما انقلابهم من الخير إلى الشر ففى غاية الندور، ولله الحمد. قلت ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون* أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاءً بما كانوا يعملون ﴾ [الاحقاف ١٣،١٤] وقوله تعالى: ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة... ﴾ [إبراهيم ٢٧] وقوله تعالى: ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ﴾ [فصلت ٣٠].

## ( الحديث الخامس )

عن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة رضى الله عنـها قالت: قـال رسـول الله ﷺ: « من أحـدث فى أمـرنا هذا مـا ليس منه فـهو رد » رواه البـخارى ومسلم. وفى رواية لمسلم: « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ».

هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الدين وهو من جوامع الكلم التى أوتيها المصطفى ﷺ فإنه صريح فى ردّ كل بدعة ليس لهـا أصل فى الكتـاب ولا فى السنة، سواء أحدثهـا أو قلد غيره فيـها، لقوله فى رواية مسلم: « من عمل عمـلاً ليس عليه أمرنا فهـو رد » أي مردود باطل، والمراد أن أعمـال العاملين تكون تحت أحكام الشريعة فى الأوامر والنواهى، فمن كان عمله تحت أحكام الشريعة فهـو مقبول وما كان خارجاً عنها فهو مردود. قال الله تعالـى: ﴿ **أم لهم شـركـاء شـرعـوا لهم من الديـن مـالم يأذن به الله...** ﴾ [الشورى ٢١].

## ( الحديث السادس )

عن أبى عبد الله النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه. ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب » رواه البخارى ومسلم.

هذا الحديث أصل عظيم من أصول الشريعة، وأجمع العلماء على عظيم موقعه وكثرة فوائدة ( قوله ﷺ: إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ) أي لا يعلمون حكمهن فى التحليل والتحريم، ومعناه أن الحلال

المحض بين لا اشتباه فيه، والحرام المحض بين لا اشتباه فيه، ولكن بين الأمرين أمور تشتبه على كثير من الناس. هل هى من الحلال أم من الحرام، وأما الراسخون فى العلم فلا تشتبه عليهم، فأما ما كان حلالا فشك فى تحريمه فهو على الإباحة حتى يعلم تحريمه، وأما ماكان حراماً فشك فى تحليله فهو على الأصل حتى يعلم تحليله؛ وأما الوهم الذى لا أصل له كترك الوضوء بماء باق على أوصافه مخافة نجاسة وقعت فيه ونحوه فهذا لا يلتفت إليه، والورع منه وسوسة، والله أعلم.

( قوله: فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ) أي طلب البراءة لدينه وعرضه من النقص والشين والقدح. قال بعض السلف: من تعرّض للتهم فلا يلومنّ من أساء الظن به. ( قوله: ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ). قال بعض السلف: الصغيرة تجر الكبيرة، والكبيرة تجر الكفر، قلت: ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ **ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها**

يستهزئون﴾ [الروم ١٠]. ( قوله: كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ) هذا مثل ضربه ﷺ لمحارم الله عز وجل. وأصله أن ملوك العرب كانت تحمى مراعى لمواشيها وتعاقب من يرعاها، فالخائف من عقوبة السلطان يبعد بماشيته عن ذلك الحمى، ولهذا قال ﷺ: « ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه »، وفيه دليل على سد الذرائع إلى المحرمات وتحريم الوسائل إليها. وفى الحديث الآخر عن النبى ﷺ: « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذر مما به بأس ». ( قوله: ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب ) المضغة: القطعة من اللحم، وسمى القلب بها لصغره. وفيه دليل على أن صلاح الجوارح وفسادها بحسب ما فى القلب، فإن كان القلب سليماً صلحت حركات الجوارح، ونشأ عن ذلك فعل الطاعات واجتناب المحرمات، وإن كان فاسداً فسدت حركات الجوارح، وانبعثت إلى المعاصى بحسب اتباع هوى القلب.

فالقلب ملك الأعضاء وبقية الأعضاء جنود له مطيعون ما يأمرهم به من خير أو شر، فإن كان صالحاً كانت جنوده صالحة.، وإن كان فاسداً كانت جنوده فاسدة، فلا صلاح للقلب حتى يستقر فيه معرفة الله وعظمته ومحبته وخشيته ومهابته ورجاؤه والتوكل عليه، وقد قال تعالى: ﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾ [الشعراء ٨٨، ٨٩] نسأل الله العظيم أن يصلح فساد قلوبنا، يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، ويامصرّف القلوب صرّف قلوبنا إلى طاعتك وطاعة رسولك.

## ( الحديث السابع )

عن أبى رقية تميم بن أوس الداري رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: « الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » رواه مسلم.

**النصيحة**: كلمة جامعة معناها إرادة الخير للمنصوح له، وهى من وجيز الأسماء ومختصر الكلام: أي عماد الدين وقوامه

النصيحة. فالنصيحة لله سبحانه وتعالى: الإيمان به، ونفي الشرك عنه، ووصفه بصفات الكمال والجلال، وتنزيهه عن جميع النقائص، ومحبته، والقيام بطاعته، واجتناب معصيته، والحب فيه، والبغض فيه، وشكر نعمته. والنصيحة لكتابه: الإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله، لا يشبهه شيء من كلام الناس، وتعظيمه ومحبته وتلاوته، وتفهم علومه وأمثاله، والعمل بما فيه. والنصيحة لرسول الله ﷺ: تصديقه ومحبته وطاعته، ونشر سنته والعمل بها، والتأدب عند قراءتها، ومحبة أهل بيته وأصحابه. والنصيحة لأئمة المسلمين معاونتهم على الحق، وطاعتهم وتذكيرهم برفق، وإعلامهم بما غفلوا عنه، وترك الخروج عليهم. والنصيحة لعامة المسلمين: إرشادهم لمصالحهم فى آخرتهم ودنياهم، وإعانتهم وستر عوراتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم، وتخولهم بالموعظة الحسنة. قال الفضيل بن عياض رحمه الله: ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام، وإنما أدرك بسخاء

النفس، وسلامة الصدر، والنصح للأمة.

## ( الحديث الثامن )

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى » رواه البخارى ومسلم.

هذا حديث عظيم، وقاعدة من قواعد الدين، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتو الزكاة فخلوا سبيلهم ...﴾ [التوبة ٥]. ( قوله: إلا بحق الإسلام ) أي شرائعه. وفى الحديث الآخر عن النبى ﷺ: « من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل ». وقال ﷺ: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم منى ماله ونفسه إلا

بحقـه وحسابـه على الله ». قال الخطابى وغيره: المراد بهذا أهل الأوثان ومشركوا العرب، ومن لا يؤمن دون أهل الكتاب، ومن يقر بالتوحيد فلا يكتفى فى عصمته بقول: لا إله إلا الله إذا كان يقولها فى كفره، وهى من اعتقاده انتهى. وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: « لما توفى رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر الصديق رضى الله عنه، وكفر من كفر من العرب. قال عمر رضى الله عنه لأبى بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله عز وجل؟ فقال أبو بكر رضى الله عنه: والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه. فقال عمر: فو الله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق » ( قوله: وحسابهم على الله ) أي فيما يسرونه ويخفونه: يعنى أن الشهادتين مع إقام الصلاة وإيتاء الزكاة تعصم

دم صاحبها وماله، إلا أن يأتى ما يبيح دمه. وأما فى الآخرة فحسابه على الله عز وجل، فإن كان صادقًا أدخله الله الجنة، وإن كان كاذبًا فهو من جملة المنافقين. قال الله تعالى: ﴿ **فذكر إنما أنت مذكر* لست عليهم بمسيطر* إلا من تولى وكفر* فيعذبه الله العذاب الأكبر* إن إلينا إيابهم* ثم إن علينا حسابهم** ﴾ [الغاشية ٢١-٢٦].

## ( الحديث التاسع )

عن أبى هريرة عبد الرحمن بن صخر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما نيهتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم » رواه البخارى ومسلم.

هذا الحديث من قواعد الإسلام المهمة، ومما أوتيه ﷺ من جوامع الكلم، ويدخل فيه مالا يحصى من الأحكام. قال الله تعالى: ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا...** ﴾

[الحشر ٧]. وقال تعالى: ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ وهذا الحديث له سبب، وهو ما رواه مسلم أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: « يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا. فقال رجل أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً. فقال رسول الله ﷺ: لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم، ثم قال: ذرونى ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه » انتهى. فالذى يتعين على المسلم أن يبحث عما جاء عن الله ورسوله ﷺ، ثم يجتهد فى فهم ذلك والوقوف على معانيه والعمل به، وهكذا كان حال أصحاب النبى ﷺ والتابعين لهم بإحسان فى طلب العلم النافع من الكتاب والسنة. وروى الإمام أحمد عن معاوية رضى الله عنه عن النبى ﷺ « أنه نهى عن الأغلوطات ». قال الأوزاعى: هى شداد المسائل. وقال عيسى بن يونس: هى مالا يحتاج إليه من كيف وكيف؟. وقال الأوزاعى: إن الله إذا أراد أن يحرم عبده

بركة العلم ألقى على لسانه المغاليط، فلقد رأيتهم أقلّ الناس علماً. وقال مالك: المراء والجدال يذهب بنور العلم من قلب الرجل. وأخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه « أن رسول الله ﷺ سئل عن الراسخين فى العلم فقال: من برْت يمينه، وصدق لسانه، واستقام قلبه، ومن عف بطنه وفرجه، فذلك من الراسخين فى العلم ».

## ( الحديث العاشر )

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعلموا صالحاً، وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم. ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يارب يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب

له؟ » رواه مسلم.

هذا الحديث قاعدة من قواعد الإسلام وأصل من أصول الأحكام. وقال أبو داود: وهو ربع العلم ( قوله: إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً ) أي لا يقبل من الصدقة إلا الحلال، ولا يصعد إليه إلا الكلم الطيب، ولا يدخل الجنة إلا الطيب ( قوله: وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين. فقال تعالى: ﴿ **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا...** ﴾ [المؤمنون ٣٠]. وقال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم...** ﴾ [البقرة ١٧٢] ) والمراد أن الرسل وأممهم مأمورون بالأكل من الطيبات التى هى الحلال والعمل الصالح ( قوله: ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام فأنى يستجاب له ) أي كيف يستجاب له وهو مُصِر على ذلك ( قوله: يطيل السفر ) أي فى وجوه الطاعات والمباحات، ومع هذا فلا يستجاب له، فكيف بمن هو منهمك فى لذات الدينا أو من الغافلين. وفى

الحديث عن النبى ﷺ: « ثلاثة لا ترد دعوتهم: المظلوم والمسافر، ودعوة الوالد على ولده » قال بعض السلف: خمس خصال بها قام العمل: معرفة الله عز وجل، ومعرفة الحق، وإخلاص العمل لله، والعمل على السنة، وأكل الحلال؛ فإن فقدت واحدة لم يرتفع العمل. وقال النبى ﷺ لسعد بن أبى وقاص: « أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة » وفى الحديث مشروعية رفع اليدين فى الدعاء، وأن التوسع فى الحرام والتغذى به من جملة موانع الإجابة، وفيه أن التبذل والعمل الصالح وأكل الحلال من أسباب الإجابة، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾ [فاطر ١٠].

## ( الحديث الحادى عشر )

عن أبى محمد الحسن بن على بن أبى طالب سبط رسول الله ﷺ وريحانته رضى الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ: « دع ما يريبك إلى مالا يريبك » رواه

الترمذى والنسائى. وقال الترمذى: حديث حسن صحيح.

( قوله ﷺ: دع ما يريبك إلى مالا يريبك ) أي اترك ما تشك فيه، واعدل إلى مالا تشك فيه، كقوله فى الحديث الآخر: « فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه » زاد الترمذى فى هذا الحديث: « فإن الصدق طمانينة والكذب ريبة ». وقال عمر رضى الله عنه: دعوا الربا والريبة، يعنى ما ارتبتم فيه وإن لم تحققوا أنه ربا. وقال حسان بن أبى سنان: ما شىء أهون من الورع إذا رابك شىء فدعه. وكان المسور بن مخرمة قد احتكر طعاماً كثيراً فرأى سحاباً فى الخريف فكرهه. فقال: ألا أرانى كرهت ما ينفع المسلمين فآلى أن لا يربح فيه شيئاً، فاخبر بذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه. فقال له عمر: جزاك الله خيراً.

## ( الحديث الثانى عشر )

عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه » حديث حسن رواه

الترمذى وغيره هكذا.

هذا الحديث من الكلام الجامع للمعانى الكثيرة الجليلة فى الألفاظ القليلة. قيل للقمان: ما بلغ بك ما نرى؟ قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك مالا يعنينى. قال ابن رجب: وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الآداب. وقد حكى الإمام أبو عمرو بن الصلاح عن أبى محمد بن أبى زيد إمام المالكية فى زمانه أنه قال: جماع آداب الخير وأزمته تتفرع من أربعة أحاديث: قول النبى ﷺ: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ». وقوله ﷺ: « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه». وقوله ﷺ للذى اختصر له فى الوصية: « لا تغضب ». وقوله ﷺ: « المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ». وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: من عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه، ودخلوا على بعض الصحابة فى مرضه ووجهه يتهلل، فسألوه عن سبب تهلل وجهه؟ فقال: ما من عمل أوثق عندى من خصلتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنينى،

وكان قلبى سليماً للمسلمين. وقال سهل بن عبد الله التستري: من تكلم فيما لا يعنيه حرم الصدق. وروي عن النبى ﷺ أنه قال: « أول من يدخل عليكم رجل من أهل الجنة، فدخل عبد الله بن سلام، فقام إليه ناس فاخبروه وقالوا له: أخبرنا بأوثق عملك فى نفسك؟ قال: إن عملى لضعيف، وأوثق ما أُرجو به سلامة الصدر وترك مالا يعنينى ». وفى صحيح ابن حبان عن أبى ذرّ رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « كان فى صحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام: وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن تكون له ساعات: ساعة يناجى فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها فى صنع الله تعالى وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب. وعلى العاقل أن لا يكون ساعياً إلا لثلاث: تزوّد لمعاد، أو حرفة لمعاش، أو لذة فى غير محرم. وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانة، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعينه ».

## ( الحديث الثالث عشر )

عن أبي حمزة أنس بن مالك رضى الله عنه خادم رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ قال: « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » رواه البخارى ومسلم.

( قوله ﷺ: لا يؤمن أحدكم ) أي لا يكمل إيمانه. وفى رواية عند الإمام أحمد: « لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير »، وهذا يدخل فى النصيحة. وفى المسند عن يزيد بن أسد القشيرى قال: قال لى رسول الله ﷺ: « أتحب الجنة؟ قلت نعم. قال: فأحب لأخيك ما تحب لنفسك ». قال ابن الصلاح: وهذا قد يعد من الصعب الممتنع وليس كذلك؛ إذ معناه: لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه فى الإسلام ما يحب لنفسه، والقيام بذلك يحصل بأن يحب له حصول مثل ذلك من جهة لا يزاحمة فيها بحيث لا ينقص عليه شيئاً من النعمة، وذلك سهل قريب على القلب السليم، وإنما يعسر على القلب الدغل عافانا الله تعالى. وقال ابن

رجب: وهذا كله إنما يأتى من كمال سلامة الصدر من الغش والغل والحسد، وقد قال الله تعالى: ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا والعاقبة للمتقين** ﴾ [القصص ٨٣].

## ( الحديث الرابع عشر )

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يحل دم امرئٍ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة » رواه البخارى ومسلم.

وفى رواية: « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا باحدى ثلاث » الحديث وعن عثمان رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً بغير نفس » رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه ( قوله: والتارك

لدينه المفارق الجماعة ) قال ابن رجب: معناه الارتداد عن دين الإسلام ولو أتى بالشهادتين، فلو سب الله تعالى أو رسوله ﷺ وهو مقرّ بالشهادتين أبيح دمه، لأنه قد ترك بذلك دينه، كذلك لو استهان بالمصحف وألقاه فى القاذورات، أو جحد ما يعلم من الدين بالضرورة، كالصلاة وما أشبه ذلك انتهى. وقد قال الله تعالى: ﴿ **ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا** ﴾ [النساء: ٩٣].

## ( الحديث الخامس عشر )

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » رواه البخارى ومسلم.

( قوله: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ) يعنى من كان يؤمن الإيمان الكامل المنجى من عذاب

الله، الموصل إلى رضوان الله فليقل خيراً أو ليصمت، لأن من آمن بالله حق إيمانه خاف وعيده، ورجا ثوابه، واجتهد فى فعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه. قال الله تعالى: ﴿ **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾ [ق: ١٨] فكلام الخير خير من السكوت، والسكوت خير من كلام الشر ( قوله: ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ). وفى رواية: « فلا يؤذ جاره » فيه تعريف لحق الجار وبره وكذلك الضيف.وقد قال الله تعالى: ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخورًا** ﴾ [النساء ٣٦]. وقال النبى ﷺ: « ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورّثه ». قال ﷺ: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته. قالوا وما جائزته؟ قال: يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام وما كان بعد ذلك فهو صدقة ».

## ( الحديث السادس عشر )

عن أبى هريرة رضى الله عنه: « أن رجلاً قال للنبى ﷺ: أوصنى، قال: لا تغضب، فردد مراراً، قال: لا تغضب » رواه البخارى.

هذه وصية وجيزة نافعة، فإن الغضب جماع الشر، والتحرز منه جماع الخير. وفى رواية عند الإمام أحمد « قال الرجل: ففكرت حين قال النبى ﷺ ما قال، فإذا الغضب يجمع الشر كله». وقيل لابن المبارك: اجمع لنا حسن الخلق فى كلمة، قال: ترك الغضب. وقد قال النبى ﷺ: « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عن الغضب » ويشهد لذلك قوله عز وجل: ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس...﴾ [آل عمران ١٣٤]. وقال النبى ﷺ: « ألا إن الغضب جمرة فى قلب ابن آدم، أفما رأيتم إلى حمرة عينيه، وانتفاخ أوداجه؟ فمن أحس من ذلك بشىء فليلزق بالأرض ». واستب رجلان عند النبي ﷺ وأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمر وجهه. فقال النبى ﷺ:

« إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ». وقال النبى ﷺ: « إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من نار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ» وقال ﷺ: « من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره فى أي الحور شاء ». وقال عمر بن عبد العزيز: قد أفلح من عصم عن الهوى والغضب والطمع. وقال الحسن: أربع من كنّ فيه عصمه الله من الشيطان وحرّمه على النار: من ملك نفسه عند الرغبة والرهبة والشهوة والغضب.

## ( الحديث السابع عشر )

عن أبى يعلى شداد بن أوس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: « إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته » رواه مسلم .

هذا من الأحاديث الجامعة لقواعد كثيرة، ومعنى إحسان القتلة: أن يجتهد فى ذلك ولا يقصد التعذيب، وإحسان الذبح فى البهائم: أن يرفق بالبهيمة، وأن يوجهها إلى القبلة، ويسمى ويكبر ويقطع الحلقوم والودجين ولا يسلخها حتى تبرد. وفى الحديث الآخر عن النبى ﷺ: « إذا حكمتم فاعدلوا، وإذا قتلتم فأحسنوا، فإن الله محسن يحب المحسنين ». وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: « مرّ رسول الله ﷺ برجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهى تلحظ إليه ببصرها، فقال هلا حددت شفرتك قبل أن تضجعها؟ تريد أن تميتها موتات؟ ». وقال الإمام أحمد: تقاد إلى الذبح قوداً رفيقاً وتوارى السكين عنها، ولا يظهر السكين إلا عند الذبح أمر رسول الله ﷺ بذلك وقال: « ما أبهمت عليه البهائم فلم ينبهم أنها تعرف ربها وتعرف أنها تموت ».

## ( الحديث الثامن عشر )

عن أبى ذر جندب بن جنادة وأبى عبد الرحمن معاذ بن جبل رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: « اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن » رواه الترمذى وقال: حديث حسن، وفى بعض النسخ: حسن صحيح.

هذه وصية عظيمة جامعة لحقوق الله تعالى وحقوق عباده. وقال الله تعالى: ﴿ **ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله...** ﴾ [النساء ١٣١] وتقوى الله تعالى: طاعته بامتثال أمره، واجتناب نهيه. قال طلق بن حبيب: التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله. وقال ابن مسعود فى قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته...** ﴾ [آل عمران ١٠٢] قال: أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، وكتب عمر إلى ابنه عبد الله:

**أما بعد**: فإنى أوصيك بتقوى الله عز وجل فإنه من اتقاه وقاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده، واجعل التقوى نصب عينيك وجلاء قلبك. وقيل لرجل من التابعين عند موته أوصنا فقال: أوصيكم بخاتمة سورة النحل: ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ [النحل ١٢٨]. وقال شعبة: كنت إذا أردت الخروج قلت للحكم: ألك حاجة؟ فقال: أوصيك بما أوصى به النبى ﷺ معاذ بن جبل: « اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن ». ( قوله: ﷺ اتق الله حثيما كنت ) أي فى السر والعلانية وفى حديث أبى الطفيل عن معاذ قال له: استحي من الله استحياء رجل ذي هيبة من قومك، وقد قال الله تعالى: ﴿ **واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا** ﴾ [النساء ١]. وكان بعض السلف يقول لأصحابه: زهدنا الله وإياكم فى الحرام زهد من قدر عليه فى الخلوة فعلم أن الله يراه فتركه من خشيته. راود رجل أعرابية وقال لها ما يرانا إلا الكواكب، قالت اين مكوكبها؟ وكان

الإمام أحمد ينشد:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكــن قــل عليّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب

وقد امتثل معاذ رضى الله عنه هذه الوصية، وكان عمر قد بعثه على عمل فقدم وليس معه شيء، فعاتبته امرأته، فقال كان معي ضاغط يمنعنى من أخذ شيء، وإنما أراد معاذ ربه عز وجل فظنت امرأته أن عمر بعث معه رقيباً فقامت تشكو إلى الناس (قوله: وأتبع السيئة الحسنة تمحها ) هذا موافق لقوله تعالى: ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكري للذاكرين** ﴾ [هود ١١٤]. وفى الصحيحين عن ابن مسعود: « أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة ثم أتى النبى ﷺ فذكر ذلك له فسكت النبى ﷺ حتى نزلت هذه الآية فدعاه فقرأها عليه، فقال رجل هذا له خاصة؟ قال بل للناس عامة ». ( قوله: وخالق الناس بخلق حسن ). قال ابن المبارك: هو بسط الوجه. وبذل المعروف، وكف الأذى. وقال النبى ﷺ :

« أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقا ». وقال ﷺ: « ما من شيء يوضع في ميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة ». وقال ﷺ: « ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة » قال بعض السلف: جلس داود عليه الصلاة والسلام خالياً. فقال الله عز وجل: مالى أراك خاليا؟ قال: هجرت الناس فيك يارب العالمين. قال يا داود ألا أدلك على ما تستبقى به وجوه الناس، وتبلغ فيه رضاي؟ خالق الناس بأخلاقهم. واحتجز الإيمان بينى وبينك. وقال بعضهم: ثلاثة أشياء عزيزة: حسن الوجه مع الصيانة، وحسن الخلق مع الديانة، وحسن الإخاء مع الأمانة. وقال رسول الله ﷺ لعقبة بن عامر: « يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ تصل من قطعك، وتعطى من حرمك، وتعفو عمن ظلمك ». وقد وصف الله المتقين فى كتابه بمثل ما وصى به النبى ﷺ فى هذا الحديث. فقال تعالى: ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين* الذين**

ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين* والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم * ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون* أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين ﴾ [آل عمران ١٣٣-١٣٦].

## ( الحديث التاسع عشر )

عن أبى العباس عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: « كنت خلف النبى ﷺ يوماً، فقال: يا غلام إنى أعلمك كلمات: أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك،

رفعت الأقلام وجفت الصحف » رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

وفى رواية غير الترمذى: « احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة. واعلم أن ما أخطاك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، وأعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً ».

هذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة. وقواعد كلية من أهم أمور الدين ( قوله ﷺ: احفظ الله يحفظك ): أي: احفظ حدوده وحقوقه، وأوامره ونواهيه، يحفظك فى أمور دينك ودنياك. قال الله تعالى: ﴿ **والحافظين لحدود الله وبشر المؤمنين** ﴾ [التوبة ١١٢]. وقال تعالى: ﴿ **هذا ما توعدون لكل أوّاب حفيظ* من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب* ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود* لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد** ﴾ [ق ٣٢-٣٥]. وقال تعالى: ﴿ **والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك فى جنات مكرمون** ﴾ [المعارج ٣٤،٣٥]. وقال تعالى: ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم**

**ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ﴾** [المؤمنون ٣٠]. وقال النبي ﷺ: « من حفظ ما بين لحييه وما بين رجليه دخل الجنة ». وقال الله عز وجل: **﴿ وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياي فارهبون ﴾** [البقرة ٤٠]. قال بعض السلف: من اتقى الله فقد حفظ نفسه، ومن ضيع تقواه فقد ضيع نفسه والله غنيّ عنه. وقال بعضهم: من حفظ الله فى صباه وقوّته، حفظه الله فى كبره وضعف قوته. وقال ابن مسعود: إن العبد ليهم بالأمر من التجارة والإمارة حتى ييسر له فينظر الله إليه فيقول للملائكة اصرفوه عنه فإنه إن يسرته له أدخلته النار فيصرفه الله عنه، فيظل يتطير بقوله: سبنى فلان، وأهاننى فلان وما هو إلا فضل الله عز وجل. وعند الطبرانى من حديث أنس عن النبى ﷺ: « يقول الله عز وجل: إن من عبادى من لا يصلح إيمانه إلا الفقر وإن بسطت عليه أفسده ذلك، وإن من عبادى من لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادى من لا يصلح إيمانه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإن من عبادى من لا يصلح

إيمانه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك، وإن من عبادى من يطلب بابا من العبادة فأكفه عنه لكيلا يدخله العجب، إنى أدبر أمر عبادى بعلمى بما فى قلوبهم إنى عليم خبير ».

( قوله: احفظ الله تجده تجاهك. وفى رواية: أمامك ) معناه أن من حفظ حدود الله ورعى حقوقه، وجد الله معه فى كل أحواله حيث توجه، يحوطه وينصره، ويحفظه ويوفقه ويسدده، ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ وهذه معية خاصة، وأما المعيه العامة فهى المذكورة فى قوله تعالى: ﴿ ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ﴾ [المجادلة ٧]. قوله (إذا سألت فسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله ) هذا منتزع من قوله تعالى: ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة ٥] فسؤال الله تعالى دعاؤه والرغبة إليه، والدعاء مخ العبادة. قال الله تعالى: ﴿ وقال ربكم ادعوني استجب

**لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين** ﴾ [غافر ٦٠] فتضمن قوله: « إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله » أن يسأل الله عز وجل ولا يسأل غيره، وأن يستعان بالله دون غيره. قال النبى ﷺ: « سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل ». وعن ابن مسعود رضى الله عنه: « أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فقال: يارسول الله إن بنى فلان أغاروا علىّ فذهبوا بابنى وإبلى، فقال له النبى ﷺ: إن آل محمد كذا وكذا أهل بيت مالهم مد من طعام فاسأل الله عز وجل فرجع إلى امرأته وقالت ما قال لك؟ فأخبرها فقالت: نعم ما رد عليك، فما لبث أن رد الله عليه ابنه وإبله أوفر ما كانت، فأتى النبى ﷺ فأخبره فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، فأمر الناس بمسألة الله عز وجل والرغبة إليه، وقرأ: ﴿ **ومن يتقى الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ رواه ابن أبى الدنيا، فالله سبحانه وتعالى يحب أن يسأل، ويغضب على من لا يسأله، والمخلوق بخلاف ذلك. قال بعضهم:

والله يغضب إن تركت سؤاله * وبنى آدم حين يسأل يغضب

وقال طاوس لعطاء: إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق دونك بابه، وجعل دونها حجابه، وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة، أمرك أن تسأله، ووعدك أن يجيبك ( قوله أيضا: وإذا استعنت فاستعن بالله ) فيه الاستعانة بالله عز وجل دون غيره من الخلق، فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله فى أمور دينه ودنياه، وهو معنى قوله: لا حول ولا قوة إلا بالله: أي لا تحوّل للعبد من حال إلى حال، ولا قوة له على ذلك إلا بالله. وقال النبى ﷺ : «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز». قال ابن دقيق العيد: وقوله ﷺ: « إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله » أرشده إلى التوكل على مولاه، وأن لا يتخذ رباً سواه، ولا يتعلق بغيره فى جميع أموره ما قل منها وما كثر.وقال الله تعالى: ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه...**﴾ [الطلاق ٣] فبقدر ما يركن الشخص إلى غير الله تعالى بطلبه أو بقلبه أو بأمله فقد أعرض عن ربه بمن لايضره ولا ينفعه، وكذلك الخوف من غير الله، وقد أكد

النبى ﷺ ذلك فقال: ( واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك ) وهذا هو الإيمان بالقدر. ( قوله: رفعت الأقلام وجفت الصحف، وفى رواية: جف القلم بما هو كائن ) هذا كناية عن تقدم كتابة المقادير والفراغ منها. قال الله تعالى: ﴿ **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير** ﴾ [الحديد ٢٢]. وروى الإمام أحمد و أبو داود والترمذى من حديث عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ قال: « إن أول ما خلق الله القلم، ثم قال له اكتب فكتب فى تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة » وعن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « إن لكل شئ حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ». ( قوله: تعرّف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ) هذه معرفة خاصة، فمن اتقى الله وحفظ حدوده فى

حال رخائة عرفه ربه فى حال شدته، فأجاب دعاءه ونجاه من الشدائد. وقال النبى ﷺ: « من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر الدعاء فى الرخاء ». وقال الضحاك بن قيس: اذكروا الله فى الرخاء يذكركم فى الشدة، إن يونس عليه السلام كان يذكر الله تعالى، فلما وقع فى بطن الحوت قال الله تعالى: ﴿ **فلولا أنه كان من المسبحين * للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون** ﴾ [الصفات ١٤٣، ١٤٤]، وإن فرعون كان طاغيا ناسيًا لذكر الله، فلما أدركه الغرق قال آمنت، فقال الله تعالى: ﴿ **الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين** ﴾ [يونس: ٩١] وختم آدم بن أبى إياس القرآن وهو مسجى للموت ثم قال: بحبى لك إلا رفقت بى فى هذا المصرع كنت آملك لهذا اليوم كنت أرجوك لا إله إلا الله، ثم قضى. وقال ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجا** ﴾ [الطلاق ٢] قال: ينجيه من كل كرب فى الدنيا والآخرة، وقد قال الله تعالى: ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم**

**توعدون* نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ماتدّعون * نزلا من غفور رحيم ﴾** [فصلت ٣٠-٣٢]. ( قوله: واعلم أن النصر مع الصبر، وفى رواية: واعلم أن فى الصبر على ماتكره خيراً كثيراً ). المؤمن بالقضاء والقدر فى المصائب له حالتان: الحالة الأولى الصبر وهو واجب. والثانية الرضا وهو مستحب وهى الدرجة العالية، والصبر كف النفس وحبسها عن السخط، والرضا: انشراح الصدر بالقضاء. قال الله تعالى: **﴿ ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه...﴾** [التغابن ١١]. قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم. وقال تعالى: **﴿ من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾** [النحل ٩٧] . قال بعض السلف: الحياة الطيبة هى الرضا والقناعة. وقال تعالى: **﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾** [الزمر: ١٠] وقال تعالى: **﴿ ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه**

**راجعون* أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾ [البقرة ١٥٥-١٥٧]. قال الحسن: الرضا عزيز ولكن الصبر معول المؤمن. وقوله ﷺ: « واعلم أن النصر مع الصبر ». موافق لقول الله عز وجل: ﴿ **قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين** ﴾ [البقرة ٢٤٩]. وقال بعض السلف: كلنا يكره الموت وألم الجراح ولكن نتفاضل بالصبر. وقال إبراهيم بن علقمة لقوم جاءوا من الغزو: قد جئتم من الجهاد الأصغر فما فعلتم فى الجهاد الأكبر؟ قالوا وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد القلب. وفى بعض الآثار: « ليس عدوك الذى إذا قتلك أدخلك الجنة، وإذا قتلته كان لك نوراً، وإنما أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك ». قال بعضهم:

إذا المرء لم يغلب هواه أقامه بمنزلة فيها العزيز ذليل

( قوله: وأن الفرج مع الكرب ) يشهد لذلك قوله عز وجل: ﴿ **وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته...** ﴾ [الشورى ٢٨]. وقول النبى ﷺ: « يضحك ربنا من قنوط عباده

وقرب غيره ». وقوله تعالى: ﴿ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا...﴾ [يوسف ١١٠]. وقوله تعالى: ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾ [البقرة: ٢١٤]. ( قوله ﷺ: وأن مع العسر يسراً ) هذا منتزع من قوله تعالى: ﴿ سيجعل الله بعد عسر يسراً ﴾ [البقرة ٢١٤]. وقوله عز وجل: ﴿ فإن مع العسر يسراً * إن مع العسر يسراً ﴾ [الشرح ٥، ٦] وقال النبى ﷺ: « لو جاء العسر فدخل هذا الجحر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه » وقال « لن يغلب عسر يسرين » قال بعضهم:

إذا العسر لاح فارتج اليسر إنه ... قضى الله أن العسر سبق اليسر

ومن لطائف أسرار اقتران الفرج بالكرب، واليسر بالعسر أن الكرب إذا اشتد وعظم وتناهى حصل للعبد اليأس من كشفه من جهة المخلوقين وتعلق قلبه بالله وحده، وهذا هو حقيقة التوكل على الله وهو أعظم الأسباب التى تطلب بها الحوائج. قال الفضيل:

والله لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئًا لأعطاك مولاك كل ما تريد انتهى. قال الله تعالى: ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً** ﴾ [الطلاق ٢، ٣].

## ( الحديث العشرون )

عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت** » رواه البخاري.

( قوله: إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى ) يعنى أن هذا مأثور عن الأنبياء المتقدمين، وأن الناس تداولوه بينهم، وتوارثوه عنهم قرنًا بعد قرن، واشتهر بين الناس حتى وصل إلى أول هذه الأمة ( قوله: إذا لم تستح فاصنع ما شئت ) تهديد ووعيد كقوله

تعالى: ﴿ اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير ﴾ [فصلت ٤٠].
وفى بعض الآثار: « إذا أبغض الله عبدا نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا بغيضًا مبغضاً ». وعن ابن عباس قال: «الحياء والإيمان فى قرن فإذا نزع أحدهما تبعه الآخر ». وفى الصحيحين عن ابن عمر أن النبى ﷺ مرّ على رجل وهو يعاتب أخاه فى الحياء يقول: إنك تستحى كأنه يقول قد أضر بك. فقال رسول الله ﷺ: دعه فإن الحياء من الإيمان فالحياء يكف صاحبه عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق، ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها. قال بعض السلف: رأيت المعاصى نذالة فتركتها مروءة فاستحالت ديانة. وفى حديث ابن مسعود عن النبى ﷺ: « الاستحياء من الله أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وأن تذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحى من الله » رواه الإمام أحمد والترمذى، وروى عبد الغنى بن سعيد فى كتاب أدب المحدث عن حرملة بن عبد الله قال: « أتيت النبى ﷺ لأزداد من العلم،

فقمت بين يديه، فقلت: يا رسول الله ما تأمرنى أن أعمل به؟ قال: ائت المعروف، واجتنب المنكر، وانظر الذى سمعته أذنك من الخير الذى يقوله القوم لك إذا قمت من عندهم فأته، وانظر الذى تكره أن يقوله القوم لك إذا قمت من عندهم فاجتنبه، قال: فنظرت فإذا هما أمران لم يتركا شيئاً: إتيان المعروف، واجتناب المنكر».

## ( الحديث الحادى والعشرون )

عن أبى عمرو، وقيل أبى عمرة سفيان بن عبد الله رضى الله عنه قال: « قلت يا رسول الله قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: قل آمنت بالله ثم استقم» رواه مسلم.

هذا الحديث من جوامع الكلم التى أوتيها ﷺ، فإنه جمع لهذا السائل فى هاتين الكلمتين معانى الإسلام والإيمان كلها، وهذا كقوله تعالى: ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا...﴾

[الاحقاف ١٣] قال عمر بن الخطاب: استقاموا والله على طاعته، ولم يروغوا روغان الثعلب، والاستقامة هى سلوك الصراط المستقيم وهو الدين القويم، ويشمل ذلك فعل الطاعات وترك المنهيات، وقد قال النبى ﷺ: « استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن » رواه الإمام أحمد. وقال ﷺ: « سددوا وقاربوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل » قال العلماء: معنى الاستقامة لزوم طاعة الله تعالى، والمقاربة: القصد الذى لا غلو فيه ولا تقصير. والسداد: الاستقامة والإصابة. قال ابن أبى جمرة: فيه دلالة على أنه ليس أحد من الخلق يقدر على توفية حق الربوبية، يؤخذ ذلك من قوله ﷺ: « ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته » فإذا كان هو وهو خير البشر لا يقدر على ذلك فالغير أحرى وأولى، وإذا تأملت ذلك من جهة النظر تجده مدركا حقيقة، لأنه إذا طالبنا بشكر النعم التى أنعم علينا عجزنا عنه بالقطع ومنها مالا نعرفه كما قال تعالى:

﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها...** ﴾ [ابراهيم ٣٤] فكيف غير ذلك من أنواع التكليفات، فما بقى إلا ما أخبر به الصادق وهو والتغمد بالفضل والرحمة.

## ( الحديث الثانى والعشرون )

عن أبى عبد الله بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما « أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: أرأيت إذا صليت المكتوبات، وصمت رمضان، وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، ولم أزد على ذلك شيئاً أدخل الجنة؟ قال نعم » رواه مسلم.

ومعنى حرمت الحرام: أجتنبته. ومعنى أحللت الحلال: فعلته معتقداً حله.

هذا الحديث يدل على أن من قام بالواجبات، وانتهى عن المحرمات دخل الجنة، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريمًا** ﴾

[النساء ٣١] وفى الصحيحين « أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس فقال: يا رسول الله أخبرنى ماذا فرض الله علىّ من الصلاة؟ فقال: الصلوات الخمس إلا أن تطوّع شيئا. فقال: أخبرنى بما فرض الله علىّ من الصيام؟ فقال: شهر رمضان إلا أن تطوع شيئا. فقال أخبرنى بما فرض الله علىّ من الزكاة؟ فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام. فقال: والذى بعثك بالحق لا أتطوع شيئاً، ولا أنقص مما فرض الله علىّ شيئا. فقال رسول الله ﷺ: أفلح إن صدق، أو دخل الجنة إن صدق » وخطب النبى ﷺ فى حجة الوداع فقال: « أيها الناس: اتقوا الله وصلَوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا إذا أمركم تدخلوا جنة ربكم » . وفى رواية: « وحجوا بيتكم »، وإنما لم يذكر الحج والزكاة فى هذا الحديث، لأن الزكاة لا تجب إلا على صاحب المال، والحج لا يجب إلا على من استطاع إليه سبيلا، وأما الصلاة والصيام، وتحليل الحلال، وترك الحرام، فواجب على كل أحد، والله أعلم.

## ( الحديث الثالث والعشرون )

عن أبى مالك الحارث بن عاصم الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأُ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حُجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها » رواه مسلم.

هذا الحديث أصل من أصول الإسلام، وقد اشتمل على مهمات من قواعد الدين ( قوله ﷺ: الطهور شطر الإيمان ). وفى رواية الترمذى: « الوضوء شطر الإيمان »، فالطهور التطهر بالماء من الأحداث، كالوضوء وغسل الجنابة. وفى الحديث الآخر عن النبى ﷺ: « ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء ». فخصال الإيمان قسمان: ظاهرة وباطنة. فالطهور من الخصال الظاهرة،

والتوحيد من الخصال الباطنه، فمن طهر باطنه بالتوحيد وظاهره بالماء فقد استفتح باب الجنة، ولا يدخلها إلا الطاهرون الطيبون قال تعالى: ﴿ **وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرًا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين** ﴾ [الزمر ٧٣]. ( قوله: والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله يملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض ) هذا شك من الراوى. وفى رواية لمسلم والنسائى: « والتسبيح والتكبير ملء السماء والأرض ». وللترمذى من حديث عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال: « التسبيح نصف الميزان، والحمد لله يملؤه، ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تصل إليه ». ( قوله: تملأ الميزان ) أي ميزان الحامد لله تعالى، وقد قيل إنه ضرب مثل، وأن المعنى لو كان الحمد جسماً لملأ الميزان. وفى الحديث الآخر: « كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، وخفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم » وروي عن النبى ﷺ أنه قال: « إن الله اصطفى من الكلام أربعاً: سبحان

الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فمن قال سبحان الله كتبت له عشرون حسنة، وحطت عنه عشرون سيئة، ومن قال الله أكبر مثل ذلك، ومن قال إلا إله إلا الله مثل ذلك، ومن قال الحمد لله مثل ذلك، ومن قال الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه كتبت له ثلاثون حسنة، وحطت عنه ثلاثون سيئة ». (قوله ﷺ: والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء ) الصلاة نور لصاحبها فى الدنيا وفى القبر ويوم القيامة كما فى الحديث الآخر: « من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهانا ونجاة يوم القيامة». وروى الطبرانى عن عبادة بن الصامت مرفوعاً: « إذا حافظ العبد على صلاته فأقام وضوءها وركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت له حفظك الله كما حفظتنى، وصعد بها إلى السماء ولها نور حتى تنتهى إلى الله عز وجل فتشفع لصاحبها». وقال أبو الدرداء: صلوا ركعتين فى ظلمة الليل لظلمة القبور ( قوله: والصدقة برهان ) أي دليل واضح على صحة الإيمان، وقد قال الله تعالى فى المنافقين: ﴿ ولا يأتون

الصلاة إلا هم كسالى، ولا ينفقون إلا وهم كارهون ﴾ [التوبة ٥٤]. ( وقوله: والصبر ضياء ) الضياء هو النور الذى يحصل فيه نوع حرارة كضياء الشمس. قال الله عز وجل: ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً...﴾ [يونس ٥] ولما كان الصبر شاقاً على النفوس يحتاج إلى مجاهدة النفس وحبسها وكفها عما تهواه كان ضياء. والصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله عز وجل، وصبر عن معاصى الله عز وجل، وصبر على أقدار الله عز وجل والصيام يجمعها ( قوله: والقرآن حجة لك أو عليك) أي إن عملت به فهو حجة لك، وإلا فهو حجة عليك. قال الله تعالى: ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ﴾ [الاسراء ٨٢]. وقال ابن مسعود رضى الله عنه: « من جعل القرآن أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره قاده إلى النار». وروي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال: « يمثل القرآن يوم القيامة رجلاً فيؤتى بالرجل قد حمله فخالف أمره فيتمثل له خصماً، فيقول يارب حملته إياي

فبئس حاملى، تعدى حدودى، وضيع فرائضى، وركب معصيتى، وترك طاعتى، فما يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال شأنك به، فيأخذه بيده فما يرسله حتى يكبه على منخرة فى النار، ويؤتى بالرجل الصالح كان قد حمله فيتمثل خصماً دونه، فيقول يارب حملته إياي، فخير حامل حفظ حدودى، وعمل بفرائضى، واجتنب معصيتى، واتبع طاعتى، فما يزال يقذف له بالحجج حتى يقال شأنك به، فيأخذه بيده فما يرسله حتى يلبسه حلة الإستبرق، ويعقد عليه تاج الملك، ويسقيه كأس الخمر ». ( قوله: كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها ) أي كل إنسان يسعى، فمنهم من يبيع نفسه لله بطاعته له فيعتقها من العذاب، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى فيوبقها: أي يهلكها. اللهم وفقنا للعمل بطاعتك، وجنبنا معصيتك، وقد قال الله تعال: ﴿ **قد أفلح من زكاها* وقد خاب من دساها** ﴾ [الشمس ٩،١٠] أي قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله، وخاب من دساها بالماصى. قال أبو بكر بن عياش: قال لى رجل مرة وأنا شاب: خلص رقبتك ما استطعت

فى الدنيا من رق الآخرة، فإن أسير الآخرة غير مفكوك أبدا، قال فو الله ما نسيتها بعد. وقال الحسن: المؤمن فى الدنيا كالأسير يسعى فى فكاك رقبته، لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله عز وجل. وقال ابن آدم: أن تغدو وتروح فى طلب الأرباح فليكن همك نفسك فإنك لن تربح مثلها أبداً.

## ( الحديث الرابع والعشرون )

عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه عن النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: « يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا. يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدونى أهدكم. يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعمونى أطعمكم. يا عبادى كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسونى أكسكم. يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفرونى أغفر لكم. يا عبادى إنكم لن تبلغوا

ضرى فتضرونى، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى. يا عبادى لَو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئاً. يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئاً. يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فاعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر. يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » رواه مسلم.

هذا حديث جليل شريف، وهو من الأحاديث القدسية التى يرويها النبى ﷺ عن الله عز وجل ( قوله: يا عبادى إني حرّمت الظلم على نفسى وجلته بينكم محرّما فلا تظالموا ) يعنى أن الله

سبحانه وتعالى منع نفسه من الظلم لعباده وحرّمه عليهم. قال الله تعالى: ﴿ **وما أنا بظلام للعبيد** ﴾ [ق: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿ **وما الله يريد ظلما للعباد** ﴾ . وقال الله تعالى: ﴿ **إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيما** ﴾ [النساء ٤٠]. وقال الله تعالى: ﴿ **إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون** ﴾ [يونس ٤٤]. وقال الله تعالى: ﴿ **ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلمًا ولا هضمًا** ﴾ [طـه ١١٢] والظلم هنا: هو وضع الأشياء فى غير موضعها ( قوله: وجعلته بينكم محرّما فلا تظالموا ) أي لا يظلم بعضكم بعضا. وقال النبى ﷺ فى خطبته فى حجة الوداع: « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يؤمكم هذا، فى شهركم هذا، فى بلدكم هذا ». وقال ﷺ: « إن الظلم ظلمات يوم القيامة ». وقال: « إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته »، ثم قرأ: « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد » وكلها فى الصحيحين. وفى صحيح البخارى عن أبى

هريرة عن النبى ﷺ قال: « من كانت عليه مظلمة لأخيه فليتحلل منها فإنه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من شيئات أخيه فطرحت عليه ». ( قوله: يا عبادى كلكم ضالّ إلا من هديته فاستهدونى أهدكم. يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعونى أطعمكم. يا عبادى كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم. يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفر لكم ) هذا يقتضى أن جميع الخلق مفتقرون إلى الله تعالى فى جلب مصالحهم، ودفع مضارهم فى أمور دينهم ودنياهم. قال الله تعالى: ﴿ **من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا** ﴾ [الكهف ١٧]. وقال تعالى: ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كلٌّ في كتاب مبين** ﴾ [هود ٦]. وقال تعالى: حاكيا عن آدم وزوجه عليهما السلام أنهما ﴿ **قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** ﴾. [الاعراف

٢٣] وقال تعالى: ﴿ **ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم** ﴾ [فاطر ٢]، وفى الحديث دليل على أن الله تعالى يحب أن يسأله العباد جميع مصالح دينهم ودنياهم من الطعام والشراب والكسوة وغير ذلك، كما يسألونه الهداية والمغفرة. فى الحديث الآخر، عن النبى ﷺ: « ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله إذا انقطع ».
والهداية نوعان: مجملة ومفصلة، فالمجملة هى الهداية للاسلام والإيمان، والمفصلة: هى الهداية إلى معرفة تفاصيل أجزاء الإيمان والإسلام، وإعانته على فعل ذلك، ولهذا أمر الله عباده أن يقرءوا فى كل ركعة من صلاتهم ﴿ **أهدنا الصراط المستقيم** ﴾ [الفاتحة ٦] وكان النبى ﷺ يقول فى دعائه بالليل: « اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم ».
وأما الاستغفار فهو طلب مغفرة الذنوب، والعبد أحوج شىء اليه لأنه يخطئ بالليل والنهار، وكل بنى ادم خطاء، وخير الخطائين التوابون. وعن الأغر المزنى أنه سمع النبى ﷺ يقول: « أيها الناس

توبوا إلى ربكم فإنى أتوب إليه فى اليوم مائة مرة » رواه البخارى. وفى حديث أبى هريرة عن النبي ﷺ: « والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم مائة مرة ». وروى الإمام أحمد من حديث عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه كان يقول: « اللهم اجعلنى من الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساءوا استغفروا » (قوله: يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى ) يعنى أن العباد لا يوصلون إلى الله نفعا ولا ضرا، فإن الله تعالى غنى حميد. قال الله تعالى: ﴿ **إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم...**﴾ [الزمر ٧]. ( قوله: يا عبادى لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئاً. يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا ) فيه إشارة إلى أن ملكه لا يزيد بطاعة الخلق، ولا ينقص بمعصيتهم، فهو كامل لانقص فيه بوجه من الوجوه ( قوله: يا عبادى لو أن أولكم

وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى، فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ) فيه إشارة إلى كمال ملكه سبحانه، وكمال قدرته، وأن خزائنه لا تنفد ولا تنقص، ولو أعطى الأولين والآخرين جميع ما سألوه فى مقام واحد. وفى ذلك حث الخلق على سؤاله، وإنزال حوائجهم به. وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: « يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، أفرأيتم ما أنفق ربكم منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما فى يمينه » وفى حديث أبى ذر عند الترمذى: «ذلك بأنى جواد واحد ماجد أفعل ما أريد، عطائى كلام، وعذابى كلام، ما أمرى لشىء إذا أردته أن أقول له كن فيكون » قال بعضهم :

لا تخضعنّ لمخلوق على طمع ... فإن ذلك غضّ منك للدين
واسترزق الله مما فى خزائنه ... فإنما هى بين الكاف والنون

( قوله: يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه ) هذا كقوله تعالى: ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره* ومن يعمل مثقال ذرّة شرا يره** ﴾ [الزلزلة ٧،٨]. وقوله تعالى: ﴿ **ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً** ﴾ [الكهف ٤٩]، وفيه إشارة إلى أن الخير كله فضل من الله على عباده، والشر كله من عند ابن آدم من اتباع هوى نفسه. قال الله عز وجل: ﴿ **ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك** ﴾ [النساء ٧٩]. وفى المسند وسنن أبى داود عن النبى ﷺ قال: « إن المؤمن إذا أصابه سقم ثم عافاه الله منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل من عمره، وإن المنافق إذا مرض وعوفى كان كالبعير عقله أهله وأطلقوه لا يدرى بما عقلوه ولا بما أطلقوه ». وفى الترمذى عن أبى هريرة مرفوعا: « ما من ميت يموت إلا ندم إن كان محسنا ندم على أن يكون ازداد وإن كان مسيئاً ندم أن يكون استعتب ». وكان مطرف بن عبد الله يقول:

اجتهدوا فى العمل، فإن يكن الأمر كما نرجو من رحمة الله وعفوه كانت لنا درجات، وإن يكن الأمر شديداً كما نخاف ونحذر لم نقل: ربنا أرجعنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل. انتهى.

وقد قال الله تعالى: ﴿ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ﴾ [الزمر ٧٤]. وقال تعالى: ﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى إنى كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم* وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام ﴾ [ابراهيم ٢٢، ٣٢].

## ( الحديث الخامس والعشرون )

عن أبى ذر رضى الله عنه أيضاً « أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للنبى ﷺ: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهى عن منكر صدقة، وفى بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر » رواه مسلم.

الدثور: الأموال جمع دثر، وهى المال الكثير، وفى الحديث دليل على أن الصحابة رضى الله عنهم لشدة حرصهم على الأعمال الصالحة يحزنون على ما يفوتهم منها مما لم يقدروا عليه

كما قال تعالى: ﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم* ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا أن لا يجدوا ما ينفقون ﴾ [التوبة ٩١،٩٢]. ( قوله: أو ليس قد جعل لكم ما تصدقون ) بتشديد الصاد، ويجوز تخفيفها ( إن بكل تسبيحة صدقة إلى آخره ) ظن الفقراء أن لا صدقة إلا بمال، وهم عاجزون عن ذلك، فأخبرهم النبى ﷺ أن جميع أنواع فعل المعروف والإحسان صدقة. وروي عن ابن عمر مرفوعاً: « من كان له مال فليتصدق من ماله، ومن كان له قوّة فليتصدق من قوّته، ومن كان له علم فليتصدق من علمه ». وفى مراسيل الحسن عن النبى ﷺ: « أن من الصدقة أن تسلم على الناس وأنت طليق الوجه ». وروى الترمذى من حديث أبى ذر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « تبسمك فى وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل فى

أرض الضلال لك صدقة، وإما طتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة ». ( قوله: وفى بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر، فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له فيها أجر ) دليل على أن الإنسان إذا نوى بالجماع عفاف نفسه أن له فى ذلك أجرا، وكذلك إذا نوى قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف، أو طلب ولد صالح، أو غير ذلك من المقاصد الحسنة كما قال النبى ﷺ فى الحديث الآخر: « إنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله تعالى إلا أجرت بها حتى ما تجعل فى فئ امرأتك ». وفى الصحيحين عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «مامن مسلم يغرس غرسا، أو يزرع زرعا فيأكل منه إنسان أو طير أو دابة إلا كان له صدقة ». وفى المسند بإسناد ضعيف عن معاذ بن أنس الجهنى عن النبى ﷺ: «من بنى بنيانا فى غير ظلم ولا اعتداء أو غرس غراسا فى غير ظلم ولا اعتداء إلا كان له أجر

جار ما انتفع به أحد من خلق الرحمن ». وذكر البخارى فى تاريخه من حديث جابر مرفوعا: « من حفر ماء لم تشرب منه كبد حرى من جن ولا إنس ولا سبع ولا طائر إلا آجره الله يوم القيامة ». وروى الإمام أحمد والترمذى عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضروا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: ذكر عز وجل ».

## ( الحديث السادس والعشرون )

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس، تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط

الأذى عن الطريق صدقة ». رواه البخارى ومسلم.

السلامى: هى المفاصل والأعضاء. وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال: « خلق الله آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن ذكر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، وعزل حجراً عن طريق المسلمين، أو لعزل شوكة، أو عزل عظماً، أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، عدد تلك الستين والثلثمائة السلامى أمسى من يومه، وقد زحزح نفسه من النار ». وفيه أيضاً من حديث أبى ذرّ عن النبى ﷺ قال: « يصبح على كل سلامى أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة،وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهى عن المنكر صدقة، ويجزى من. ذلك ركعتان يركعهما من الضحى ». قال ابن دقيق العيد: أي يكفى من هذه الصدقات عن هذه الأعضاء ركعتان، فإن الصلاة عمل لجميع أعضاء الجسد، فإذا صلى فقد قام كل عضو بوظيفتة، والله أعلم.

وقال ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى: ﴿ **ثم لتسئلن يومئذٍ عن النعيم** ﴾ [التكاثر ٨] قال: النعيم صحة الأبدان، والأسماع والأبصار، يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله تعالى: ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** ﴾ [الاسراء ٣٦]. وقال وهب بن منبه: عَبَدَ الله عابد خمسين عاما، فأوحى الله عز وجل لعرق فى عنقه، فضرب عليه فلم ينم ولم يصلّ، ثم سكن وقام، فأتاه ملك فشكا إليه مالقى من ضربات العرق. فقال الملك: إن ربك عز وجل يقول: عبادتك خمسين سنة لم تعدل سكون ذلك العرق. وقال سليمان التيمى: إن الله أنعم على العباد على قدره، وكلفهم الشكر على قدرهم، حتى رضى الله منهم من الشكر بالاعتراف بقلوبهم بنعمه، وبالحمد بألسنتهم عليها، وقد قال النبى ﷺ: «من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بى من نعمة، أو بأحدٍ من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر، فقد أدى شكر ذلك اليوم، ومن قالها حين يمسى أدى شكر

ليلته » وقال الله تعالى: ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرًا عظيما ﴾ [النساء ١١٤].

## ( الحديث السابع والعشرون )

عن النواس بن سمعان رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: « البر حسن الخلق، والإثم ما حاك فى نفسك، وكرهت أن يطلع عليه الناس » رواه مسلم.

وعن وابصة بن معبد رضى الله عنه قال: « أتيت رسول الله ﷺ فقال: جئت تسأل عن البر؟ قلت: نعم، قال: استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك » حديث حسن رويناه فى مسندى الإمامين أحمد بن حنبل والدارمى بإسناد حسن.

( قوله ﷺ: البر حسن الخلق ) يعنى أن حسن الخلق أعظم

خصال البر، وهو ما ييسر فاعله ويلحقه بالأبرار، وحسن الخلق هو الأخلاق الحميدة، والأوصاف الجميلة، كالإنصاف فى المعاملة، والرفق فى المحاولة، والعدل فى الأحكام، والبذل والإحسان، وغير ذلك من صفات المؤمنين. وفى الصحيحين: « أن أعرابياً جذب برد النبى ﷺ حتى أثرت حاشيته فى عاتق النبى ﷺ، وقال: أعطنى يا محمد من مال الله الذى عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك وأمر له بعطاء » وقد قال الله تعالى: ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون** ﴾ [البقرة ١٧٧] ( قوله: والإثم ما حاك فى نفسك، وكرهت أن يطلع عليه الناس ) يعنى أن الإثم هو ما أثر فى القلب ضيقا وحرجا ونفورا وكراهة، وهذا يرجع إليه عند الاشتباه،

وهو ما استنكره الناس: فاعله وغير فاعله. وقال ابن مسعود رضى الله عنه: ما رآه المؤمنون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المؤمنون قبيحاً فهو عند الله قبيح. (قوله: وإن أفتاك الناس وأفتوك) يعنى أن ما حاك فى صدر الإنسان فهو إثم وإن أفتاه غيره، وهذا إنما يكون إذا كان المفتى يفتيه بمجرد ظن أو هوى من غير دليل شرعى، وأما ما كان فيه دليل شرعى كالفطر فى السفر والمرض وقصر الصلاة فى السفر، ونحو ذلك مما لا ينشرح به صدور كثير من الجهال فلا عبرة به، والله أعلم.

## ( الحديث الثامن والعشرون )

عن أبى نجيح العرباض بن سارية رضى الله عنه قال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون. فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً،

فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة » رواه أبو داود والترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

( قوله: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ) وفى رواية « بليغة » وكان ذلك بعد صلاة الصبح ( وقوله: ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب ) هذه صفة للمؤمنين عند سماع الذكر قال الله تعالى: ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ [الأنفال:٢]. وقال تعالى: ﴿ إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ [المائدة ٨٣]. ( قوله: فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا ) أي لأن المودع يستقصى فى القول والفعل، ولعل الخطبة التى أشار إليها العرباض شبيهة بما روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً كالمودع. فقال: « أنا محمد النبى الأمى

ولا نبى بعدى، أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه، وعلمتكم خزنة النار وحملة العرش، وتجوّز لى ربى، وعوفيت أمتى، فاسمعوا وأطيعوا ما دمت فيكم، فإذا ذهب بى فعليكم بكتاب الله، أحلوا حلاله، وحرموا حرامه ». ( قوله ﷺ: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة ) هاتان الكلمتان تجمعان سعادة الدنيا والآخرة. قال الله تعالى: ﴿ **ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله...** ﴾ [النساء ١٣١]. وقال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم...** ﴾ [النساء ٥٩]. وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: إن الناس لا يصلحهم إلا إمام بر أو فاجر وقال الحسن: والله ما يستقيم الدين إلا بالأمراء وإن جاروا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون. وخرج الخلال فى كتاب الإمارة من حديث أبى أمامة قال: «أمر رسول الله ﷺ أصحابه حين صلى العشاء أن احشدوا فإن لى إليكم حاجة، فلما فرغوا من صلاة الصبح قال: هل حشدتم كما أمرتكم؟ قالوا نعم. قال: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، هل عقلتم

هذه ثلاثا؟ قلنا نعم. قال: أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، هل عقلتم هذه ثلاثا؟ قلنا نعم. قال: اسمعوا وأطيعوا، هل عقلتم هذه ثلاثا؟ قلنا نعم » قال: فكنا نرى أن رسول الله ﷺ سيتكلم كلاماً طويلاً، ثم نظرنا فى كلامه، فإذا هو قد جمع لنا الأمر كله. (قوله: وإن تأمر عليكم عبد ) وفى رواية: «حبشى» وفى صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة ». (قوله: فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيرا، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ ) هذا إخبار منه ﷺ بما وقع فى هذه الأمة من كثرة الاختلاف فى أصول الدين وفروعه، فأمر عند ذلك بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين فى الاعتقادات والأعمال والأقوال. والخلفاء الراشدون، هم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم كما فى الحديث الآخر « والخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم يكون ملكاً » (قوله: عضوا عليها بالنواجذ ) أي الأضراس، وهو كناية عن

شـدة التمسك بها ( قوله: وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة ) هذا تحذير للأمة من اتباع الأمور المحدثة، والمراد بالبدعة ما أحدث فى الدنيا مما لا أصل له فى الشريعة، وهذا من جوامع الكلم، وهو أصل عظيم من أصول الدين، وهو شبيه بقوله ﷺ: «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ ». وقال الشافعى: البدعة بدعتان: بدعة محمودة وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم انتهى.

فمن البدع المحمودة الاجتماع فى صلاة التراويح، وكتابة الحديث، وتفسير القرآن، وتبويب الفقه، ونحو ذلك مما له أصل فى الشريعة، ويستعان به على معرفة الدين وإقامته، وبالله التوفيق.

## ( الحديث التاسع والعشرون )

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: « قلت: يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار؟ قال:

لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، وصلاة الرجل فى جوف الليل، ثم تلا: تتجافى جنوبهم عن المضاجع، حتى بلغ يعملون، ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه وقال: كف عليك هذا، قلت: يا نبى الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم » رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.

( قوله: أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار ) فيه دليل على أن الأعمال سبب لدخول الجنة كما قال تعالى: ﴿ وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ [الزخرف ٧٢]. وأما قوله ﷺ: « لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله » فالمراد أن العمل بنفسه لا يستحق به أحد الجنة لولا رحمة الله، فالجنة وأسبابها من فضل الله ورحمته. وفى الدعاء المأثور: ونسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ( قوله ﷺ: لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسر الله عليه ) فيه إشارة إلى أن التوفيق كله بيد الله عز وجل، وقد قال النبى ﷺ: « اعملوا فكل ميسر لما خلق له. أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم تلا: ﴿ **فأما من أعطى واتقى* وصدّق بالحسنى* فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى* وكذب بالحسنى* فسنيسره للعسرى** ﴾ [الليل ٥-١٠] ( قوله: تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم

رمضان، وتحج البيت ) هذه أركان الإسلام الخمسة، أرشده ﷺ لعبادة الله وحده مخلصاً له الدين، وإقامة الصلاة، والإتيان بشرائع الإسلام، ثم قال: « ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، وصلاة الرجل فى جوف الليل »، ثم تلا: « تتجافى جنوبهم عن المضاجع، حتى بلغ يعملون »: أي قرأ قوله تعالى: ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا ومما رزقناهم ينفقون* فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين جزاء بما كان يعملون** ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧] لما رتب دخول الجنة على واجبات الإسلام دله بعد ذلك على أبواب الخير من النوافل. فقال: «الصوم جنة » أي سترة ووقاية ( قوله: والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار). وفى الحديث الآخر: « إن صدقة السر لتطفىء غضب الرب، وتدفع ميتة السوء » وقد قال تعالى: ﴿ **إن تبدوا الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير** ﴾ [البقرة ٢٧١]. ( قوله: وصلاة

الرجل فى جوف الليل ) يعنى تطفىء الخطيئة أيضاً كالصدقة. وفى الترمذى من حديث بلال رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وإن قيام الليل قربة إلى الله عز وجل، ومنهاة عن الإثم، وتكفير السيئات، ومطردة للداء عن الجسد ». وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « أفضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل »، وخرّج النسائى والترمذى من حديث أبى أمامة: « قيل يا رسول الله: أي الدعاء أسمع؟ قال جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات ». ( قوله: ألا أخبرك برأس الأمر وعمودة وذروة سنامة؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: رأس الأمر الإسلام، وعمود الصلاة وذروة سنامه الجهاد ) المراد بالأمر: الدين، ورأسه: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وعموده: الصلاة فلا يقوم إلا بها، وذروة سنامه: الجهاد فى سبيل الله، وذروة كل شيء أعلاه وأرفعه، وهذا يدل على أن الجهاد أفضل الأعمال بعد الفرائض. وفى رواية الإمام أحمد عن معاذ « قال لى رسول الله

ﷺ : إن شئت حدثتك برأس هذا الأمر، وقوام هذا الدين، وذروة السنام؟ قلت: بلى. فقال نبى الله ﷺ : إن رأس هذا الأمر أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وإن قوام هذا الأمر إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وإن ذروة السنام منه الجهاد فى سبيل الله ». ( قوله: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه فقال: كف عليك هذا، وقلت يا نبى الله: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك، هل يكبّ الناس فى النار على وجوهم، أو قال على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم ) هذا يدل على أن كف اللسان وضبطه هو أصل الخير كله، وأن من ملك لسانه فقد ملك أمره. ( قوله: ثكلتك أمك ) أي فقدتك، والعرب تدعو على الرجل ولا تريد وقوع الأمر به، والمراد بحصائد الألسنة جزاء الكلام وعقوباته، فإن الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات، فمن زرع خيراً حصد الكرامة، ومن زرع شراً حصد الندامة، ومعصية النطق يدخل فيها: الشرك، والقول على الله بلا علم، و شهادة الزور،

والقذف، والكذب، والغيبة والنميمة، ونحو ذلك من الكبائر والصغائر. وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزلّ بها فى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب ». وفى الحديث الآخر: « أكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان الفم والفرج » وقال يحيى بن أبى كثير: ما صلح منطق رجل قط إلا عرفت ذلك فى سائر عمله، ولا فسد منطق رجل قط إلا عرفت ذلك فى سائر عمله. وكان ابن مسعود رضى الله عنه يحلف بالله الذى لا إله إلا هو ما على الأرض شىء أحوج إلى طول سجن من لسان. وفى الحديث السابق عن النبى ﷺ: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ».

## ( الحديث الثلاثون )

عن أبى ثعلبة الخشنى جرثوم بن ناشر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: « إن الله تعالى فرض فرائض فلا

تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمةً لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها » حديث حسن رواه الدار قطنى وغيره.

**قال ابن سمعان:** هذا الحديث أصل كبير من أصول الدين وفروعه، من عمل به فقد حاز الثواب، وأمن من العقاب، لأن من أدى الفرائض، واجتنب المحارم، ووقف عند الحدود، وترك البحث عما غاب عنه، فقد استوفى أقسام الفضل، وأوفى حقوق الدين (قوله: وسكت عن أشياء رحمةً لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها) هذا موافق لقوله ﷺ: « ذرونى ما تركتكم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم » قال بعض العلماء: كانت بنو إسرائيل يسألون فيجابون، ويعطون ما طلبوا، حتى كان ذلك فتنة لهم، وأدى ذلك إلى هلاكهم، وكان الصحابة رضى الله عنهم قد فهموا ذلك، وكفوا عن السؤال إلا فيما لابد منه، وكان يعجبهم أن يجىء الأعراب يسألون رسول الله ﷺ فيسمعون ويعون. وأخرج البزار فى مسنده والحاكم من

حـديث أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: « ما أحل الله فى كتابه فهو حلال، وما حرّم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئاً » ثم تلا هذه الآية: « وما كان ربك نسيا » .

## ( الحديث الحادى والثلاثون )

عن أبى العباس سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه قـال: « جـاء رجل إلى النبى ﷺ فقـال: يا رسول الله دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس؟ فقال: أزهد فى الدنيا يحبك الله، وأزهد فيـمـا عند الناس يحبك الناس » حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة.

قد اشتمل هذا الحديث على وصيتين عظيمتين: الزهد فى الدنيا، والزهد فيما عند الناس. قال أبو داود: أصول السنن فى كل فـن أربعة أحاديث: حـديث عمـر « إنما الأعمال بالنيات »، وحـديث: « الحـلال بين والحـرام بـين »، وحـديث: « من

حسن إسلام المرءِ تركه مالا يعنيه »، وحديث: « ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس »، وجمعها بعضهم فقال:

عمدة الدين عـندنا كلمات أربـع من كلام خير البرية
اتق الشبهـات وازهد ودع ما ليس يعنيك واعملـن بنيه

قال أبو إدريس الخولانى الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، إنما الزهادة فى الدنيا أن تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يديك، وإذا أصبت بمصيبة كنت أشد رجاء لأجرها منها لو بقيت. وقيل لأبى حازم الزاهد: ما مالك؟ قال: لى مالان لا أخشى معهما الفقر: الثقة بالله، واليأس مما فى أيدى الناس.وقال الفضيل بن عياض: أصل الزهد الرضا عن الله عز وجل. وسئل الزهرى من الزاهد؟ فقال: من لم يغلب الحرام صبره، ولم يشغل الحلال شكره. وقال الإمام أحمد بن حنبل: الزهد فى الدنيا قصر الأمل، واليأس مما فى أيدى الناس. وقال إبراهيم بن أدهم: الزهد ثلاثة أصناف: فزهد فرض، وزهد فضل،

وزهد سلامة، فأما الزهد الفرض: فالزهد فى الحرام، والزهد الفضل: الزهد فى الحلال، والزهد السلامة: الزهد فى الشبهات. وقال سعيد بن جبير: متاع الغرور ما يلهيك عن طلب الآخرة، وما لم يلهك فليس متاع الغرور، ولكنه متاع بلاغ إلى ما هو خير منه. وقال النبى ﷺ: « من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته، جمع الله عليه أمره، وجعل غناه فى قلبه، وأتته الدنيا وهى راغمة » رواه أحمد وابن ماجه والترمذى، وكان عمر يقول فى خطبته على المنبر: إن الطمع فقر، وإن اليأس غنى، وإن الإنسان إذا آيس من شىء استغنى عنه. وقال الحسن: لا تزال كريماً على الناس ولا يزال الناس يكرمونك ما لم تعاط مما فى أيديهم، فإذا فعلت ذلك استخفوا بك وكرهوا حديثك وأبغضوك. وقال أيوب السختيانى: لا يقبل الرجل حتى تكون فيه خصلتان: العفة عما فى أيدى الناس، والتجاوز عما يكون منهم. وروي أن عبد الله بن سلام لقى كعب الأحبار عند عمر فقال: يا كعب

من أرباب العلم؟ قال: الذين يعملون به. قال: فما يذهب بالعلم من قلوب العلماء بعد أن حفظوه وعقلوه؟ قال: يذهبه الطمع، وشَرَه النفس، وتطلب الحاجات إلى الناس. قال صدقت؛ وما أحسن قول بعض السلف حيث يقول:

يقولون لى فيك انقباض وانما رأوا رجلا عن موقف الذل احجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم ومن أكرمته عزة النفس أكرما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه فى النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهان ودنسوا محياه بالأطماع حتى تجهما

قال أعرابى لأهل البصرة: من سيد أهل هذه القرية؟ قالوا الحسن. قال: بما سادهم؟ قالوا احتاج الناس إلى علمه،واستغنى هو عن دنياهم. اللهم تب علينا، وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم. وقال الإمام الشافعى رحمه الله تعالى:

| | |
|---|---|
| ومن يذق الدنيا فإنى طعمتها | وسيق إلينا عذبها وعذابها |
| فلم أرها إلا غروراً وباطلا | كما لاح فى ظهر الفلاة سرابها |
| فما هى إلا جيفة مستحيلة فإن | عليها كلاب همهن اجتذابها |
| تجتنبها كنت سلما لأهلها | وإن تجتذبها نازعتك كلابها |

## ( الحديث الثانى والثلاثون )

عن أبى سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ: قال: « لا ضرر ولا ضرار » حديث حسن رواه ابن ماجه والدار قطنى وغيرهما مسنداً. ورواه مالك فى الموطإ مرسلاً عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن النبى ﷺ فأسقط أبا سعيد، وله طرق يقوى بعضها بعضا.

هذا الحديث أصل عظيم، وقاعدة من قواعد الفقة. قال أبو داود: الفقه يدور على خمسة أحاديث: « الحلال بين والحرام بين ».

وقول النبى ﷺ: « لا ضرر ولا ضرار » وقوله: « إنما الأعمال بالنيات ». وقوله: « الدين النصيحة ». وقوله: « ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم ». ( قوله ﷺ: لا ضرر ولا ضرار ) زاد الحاكم « من ضارّ ضرّه الله، ومن شاقّ شقّ الله عليه ». وفى رواية للدار قطنى عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: « لا ضرر ولا ضرورة، ولا يمنعنّ أحدكم جاره أن يضع خشبته على حائطه ». وفى الترمذى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «ملعون من ضارّ مؤمناً أو مكر به». وقد قال الله تعالى: ﴿ **من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضارّ** ...﴾ [ النساء:١٢]. وقال النبى ﷺ: « إن العبد ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضره الموت فيضارّ فى الوصية فيدخل النار ». وقال تعالى: ﴿ **فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارًا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا**...﴾ [البقرة ٢٣١]. وقال تعالى: ﴿ **لا تضارّ والدة بولدها ولا مولود له بولده** ... ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. ( قوله:

لا ضرر ولا ضرار). الضرر: هو أن يدخل على غيره ضرراً بما ينتفع هو به بغير حق والضرار: هو أن يدخل على غيره ضرراً بلا منفعه، كمن منع مالا يضره، وقيل الضرر أن يضرّ به من لا يضره، والضرار: أن يضر بمن قد أضر به على وجه غير جائز، والمراد إدخال الضرر بغير حق، وأخرج أبو داود فى المراسيل من حديث أبى قلابة قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تضاوروا فى الحفر» وذلك أن يحفر الرجل إلى جانب الرجل ليذهب بمائة. وأخرج أبو داود فى المراسيل عن واسع بن حبان قال: « كان لأبى لبابة عذق فى حائط رجل فكلمه. فقال: إنك تطأ حائطى إلى عذقك فأنا أعطيك مثله فى حائط وأخرجه عنى فأبى عليه، فكلم النبى ﷺ. فقال يا أبا لبابة: خذ مثل عذقك فحزها إلى مالك، واكفف عن صاحبك ما يكره، فقال: ما أنا بفاعل. فقال: اذهب فأخرج له مثل عذقه إلى حائطه، ثم اضرب فوق ذلك بجدار فإنه لا ضرر فى الإسلام ولا ضرار ». وأخرج أبو داود أيضا فى السنن من حديث أبى جعفر محمد بن على أنه حدث عن سمرة بن جندب

« أنه كان له عذق من نخل فى حائط رجل من الأنصار ومع الرجل أهله، وكان سمرة يدخل إلى نخله فيتأذى به وشق عليه، فطلب إليه أن يناقله فأبى، فأتى النبى ﷺ، فذكر ذلك له، فطلب إليه النبى ﷺ أن يبيعه فأبى، فطلب إليه أن يناقله فأبى. قال: فهبه لى ولك كذا مدًا رغبه فيه فأبى. فقال: أنت مضارّ. فقال النبى ﷺ للأنصارى: اذهب فاقلع نخله ». قال أحمد فى رواية حنبل: كل ما كان على هذه الجهة وفيه ضرر يمنع من ذلك، فإن أجاب وإلا أجبره السلطان، ولا يضر بأخيه فى ذلك وفيه مرفق له. قال ابن رجب: ويستدل بذلك على وجوب العمارة على الشريك الممتنع منها، وعلى إيجاب البيع إذا تعذرت القسمة انتهى.

ومسائل الضرر فى الأحكام كثيرة جداً، فيجتهد الحاكم فى ذلك، فإن كان الضرر بحق أمضاه، وإن كان للتعنت والبغي والتطاول والحسد، فلا ضرر ولا ضرار، وقد قضى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه على محمد بن مسلمة أن يجرى ماء جاره فى أرضه وقال: لنمرنّ به ولو على بطنك.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

## ( الحديث الثالث والثلاثون )

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال أموال قوم ودماءهم، لكن البينة على المدعى، واليمين على من أنكر ». حديث حسن رواه البيهقى وغيره هكذا، وبعضه فى الصحيحين.

هذا الحديث أصل عظيم من أصول الأحكام، والذى فى الصحيحين منه: « لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم، ولكن اليمين على المدعى عليه ». وفى رواية: «أن النبى ﷺ قضى أن اليمين على المدعى عليه ». وفى الصحيحين أيضاً: « أن الاشعث بن قيس قال: كان بينى وبين رجل خصومة فى بئر، فاختصمنا إلى رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: شاهداك أو يمينه، قلت: إذاً يحلف ولا يبالى. فقال رسول الله ﷺ: من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان، فأنزل الله تصديق ذلك، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلا ... ﴾

[آل عمران: ٧٧] الآية. وفي رواية لمسلم بعد قوله: إذا يحلف « قال ليس لك إلا ذلك ». وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال: « البينة على المدعى واليمين على من أنكر إلا فى القسامة ». وقال قتادة: فصل الخطاب الذى أوتيه داود عليه السلام هو أن البينة على المدعى، واليمين على من أنكر. ( قوله ﷺ: البينة على المدعى ) البينة: هى ما أبان الحق فيحكم الحاكم بإقرار المدعى عليه، أو بشهادة رجلين، أو رجل وامرأتين، أو رجل ويمين المدعى، وبيمين المنكر، وبيمين الرد، وبعلمه إذا لم يتهم. وعن ابن عباس رضى الله عنهما « أن النبى ﷺ قضى بيمين وشاهد » رواه مسلم وأبو داود والنسائى. وعن جابر رضى الله عنه: « أن رجلين اختصما فى ناقة، فقال كل واحد منهما نتجت هذه الناقة عندى وأقاما بينة، فقضى بها رسول الله ﷺ للذى هى فى يده ». وعن ابن عمر رضى الله عنهما: « أن النبى ﷺ رد اليمين على طالب الحق » رواهما الدار قطنى، فإذا لم يحلف المدعى عليه وطلب يمين المدعى فله ذلك. وقد كان شريح وإياس

بن معاوية يحكمان فى الأموال المتنازع فيها بمجرد القرائن الدالة على صدق أحد المتداعيين. وقضى شريح فى أولاد هرة تداعاها امرأتان كل منهما تقول هى ولد هرتى. قال شريح: ألقها مع هذه، فإن هى قرّت ودرت واسبطرت فهى لها، وإن فرت وهرت وبارت فليس لها. قال ابن قتيبة: قوله اسبطرت: يريد امتدت للارضاع، وقوله وإن بارت: أي اقشعرت وتنفشت، وروي عن على أنه أحلف المدعى مع بينته أن شهوده شهدوا بحق. وقال إسحاق: إذا استراب الحاكم وجب ذلك. وقال ابن عباس فى المرأة الشاهدة على الرضاع أنها تستحلف. وقضى ابن مسعود فى رجل مسلم حضره الموت فأوصى إلى رجلين مسلمين معه، وسلمهما ما معه من المال، وأشهد على وصيته كفاراً، ثم قدم الوصيان فدفعا بعض المال إلى الورثة وكتما بعضه، ثم قدم الكفار فشهدوا عليهم بما كتموه من المال، فدعا الوصيين المسلمين فاستحلفهما ما دفع إليها أكثر مما دفعاه، ثم دعا الكفار فشهدوا وحلفوا على شهادتهم، ثم أمر أولياء الميت أن يحلفوا أن ما شهدت به اليهود أو النصارى

حق فحلفوا، فقضى على الوصيين بما حلفوا عليه.

وأما حقوق الله عز وجل: فمن العلماء من قال لا يستحلف فيها بحال، ومنهم من قال يستحلف إذا اتهم. وروى الخلال بإسناده عن الركين بن الربيع عن أبيه قال: أحمس أي شرد لأخى فرس بعين التمر فرآه فى مربط سعد، فقال فرسى، فقال سعد: لك بينتة؟ قال لا، ولكن أدعوه فيحمحم فدعاه فحمحم فأعطاه إياه. وقال أبو الزناد: كان عمر بن عبد العزيز يرد المظالم إلى أهلها بغير البينة القاطعة، كان يكتفى باليسير إذا عرف صرف مظلمة الرجل ردها عليه ولم يكلفه تحقيق البينة لما يعرف من غشم الولاة قبله على الناس. وذكر القاضى أن الأموال المغصوبة من قطاع الطريق واللصوص يكتفى من مدعيها بالصفة كاللقطة، وأنه ظاهر كلام أحمد، والله أعلم.

## ( الحديث الرابع والثلاثون )

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: سمعت

رسول الله ﷺ يقول: « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان » رواه مسلم.

أخرج مسلم من حديث طارق بن شهاب قال: « أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان، فقام إليه رجل فقال الصلاة قبل الخطبة، فقال: قد ترك ما هنالك. فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه » ثم روى هذا الحديث. قال ابن دقيق العيد يحتمل أن يكون أبو سعيد لم يكن حاضراً أول ما شرع مروان فى الخطبة، ويحتمل أن يكون حاضراً لكنه خاف حصول فتنة، ويحتمل أنه همّ بالإنكار فبدره الرجل فعضده أبو سعيد والله أعلم. وأخرج مسلم أيضا من حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو

مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » وروي عن على أنه قال: أول ما تغلبون عليه من الجهاد جهاد بأيديكم، ثم الجهاد بألسنتكم، ثم الجهاد بقلوبكم، فمن لم يعرف قلبه المعروف، وينكر قلبه المنكر نكس، فجعل أعلاه أسفله. وفى سنن أبى داود عن النبى ﷺ قال: « إذا عملت الخطيئة فى الأرض كان من شهدها فكرهها كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها » وفى المسند من حديث جرير عن النبى ﷺ: « ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى هم أعز وأكثر ممن يعمله فلم يغيروه إلا عمهم الله بعقاب». قال الإمام أحمد: التغيير باليد ليس بالسيف والسلاح. وفى سنن أبى داود وابن ماجه والترمذى عن أبى ثعلبة الخشنىّ أنه قيل له: كيف تقول فى هذه الآية ﴿ **عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ...** ﴾ [المائدة: ١٠٥] قال: سألت عنها خبيراً، أما والله لقد سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: « بل ائتمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهواً متبعاً،

ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوامّ » وعن ابن مسعود قال: « إذا اختلفت القلوب والأهواء، وأُلبستم شيعاً، وذاق بعضكم بأس بعض، فيأمر الإنسان حينئذٍ نفسه ». قال العلماء: ولا يسقط الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر لكونه لا يقبل فى ظنه بل يجب عليه فعله. قال الله تعالى: ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ [الذاريات: ٥٥]. وقال تعالى: ﴿ ما على الرسول إلا البلاغ ... ﴾ [المائدة: ٩٩]. قال سفيان بن عيينة: لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه ثلاث خصال: رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر، عدل بما ينهى، عالم بما يأمر، عالم بما ينهى. قال ابن دقيق العيد: ولا يشترط فى الآمر بالمعروف، والناهى عن المنكر أن يكون كامل الحال، ولا يختص الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بأصحاب الولاية، بل ذلك ثابت لآحاد المسلمين، وإنما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به وما ينهى عنه، فإن كان من الأمور الظاهرة مثل الصلاة والصوم، والزنا وشرب الخمر ونحو ذلك، فكل

المسلمين علماء بها، وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال فذلك للعلماء، والعلماء إنما ينكرون ما أجمع عليه، أما المختلف فيه فلا إنكار فيه، لكن على وجه النصيحة إلى الخروج من الخلاف.
وقال الإمام أحمد: الناس محتاجون إلى مداراة ورفق، والأمر بالمعروف بلا غلظة، إلا رجل معلن بالفسق فلا حرمة له. وقال أيضاً: يأمر بالرفق فإن أسمعوه ما يكره لا يغضب، فيكون يريد أن ينتصر لنفسه. قال: وكان أصحاب ابن مسعود إذا مروا بقوم يرون منهم ما يكرهون يقولون: مهلاً رحمكم الله، مهلاً رحمكم الله.
قال ابن دقيق العيد: وليس للآمر بالمعروف والناهى عن المنكر البحث والتفتيش والتجسيس، واقتحام الدور بالظنون، بل إن عثر على منكر غيره، وقال الماوردى: ليس له أن يقتحم ويتجسس إلا أن يخبره من يثق بقوله: أن رجلا خلاً برجل ليقتله، أو امرأة ليزنى بها، فيجوز له فى مثل هذه الحال أن يتجسس ويقدم على الكشف والبحث حذراً من فوات ما لا يستدركه، والله أعلم.

## ( الحديث الخامس والثلاثون )

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تحاسدوا ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره،التقوى ههنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب أمرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه » رواه مسلم.

العمل بهذا الحديث من أعظم الأسباب الموصلة للتآلف بين المسلمين وقلة الشحناء (قوله ﷺ: لا تحاسدوا ) أي لا يحسد بعضكم بعضاً. والحسد: هو تمنى زوال النعمة، وهو من الأخلاق المذمومة. قال الله تعالى: ﴿ **أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله...** ﴾ [النساء: ٥٤] وقال تعالى: ﴿ **ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ...** ﴾ [البقرة: ١٠٩]. ويروى أن إبليس قال

لنوح عليه السلام: اثنتان أُهلك بهما بنى ادم: الحسد، وبالحسد لُعنت وجعلت شيطاناً رجيماً. والحرص أبيح آدم الجنة كلها، فأصبت حاجتى منه بالحرص. وقال النبى ﷺ: « دبّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، هى الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر، والذى نفس محمد بيده لاتؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أنبئكم بشىء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم ». وقال ﷺ: « إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » وهذا هو الحسد المذموم، وهو تمنى زوال النعمة؛ فأما الغبطة وهى تمنى حال المغبوط من غير أن يريد زوالها عنه، فإن كانت فى أمور الدين فهى محمودة. وفى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال: « لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار » وإن كانت الغبطة فى أمور الدنيا فلا خير فى ذلك. قال الله تعالى: ﴿ **فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظٍ**

**عظيم* وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحًا ولا يلقاها إلا الصابرون ﴾** [القصص ٧٩، ٨٠].

(قوله ﷺ: ولا تناجشوا ) النجش: هو أن يزيد في السلعة من لا يريد شراءها. قال ابن أبي أوفى: الناجش آكل ربا خائن. وفي حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ: « من غشنا فليس منا والمكر والخداع في النار » ( قوله ﷺ: ولا تباغضوا ) أي لا تعاطوا أسباب البغضاء. قال الله تعالى: ﴿ **إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** ﴾ [المائدة: ٩١]. وقال ﷺ: « والذى نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم ». وقال تعالى: ﴿ **لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرًا عظيما** ﴾ [ النساء: ١١٤]. وقال ﷺ: « ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: المشاءون بالنميمة،

المفرقون بين الأحبة، الباغون للبرآء العيب » وهذا التباغض المذموم هو الذى منشؤه التنافس فى الدنيا واتباع الأهواء، فأما الحب والبغض فى الله فهو من أوثق عرى الإيمان. قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: ألا من أظهر منكم لنا خيراً ظننا به خيراً وأحببناه عليه، ومن أظهر منكم شراً ظننا به شرا وأبغضناه عليه، سرائركم بينكم وبين ربكم تعالى. ( قوله ﷺ: ولا تدابروا ) التدابر: التهاجر، فإن كلا من المتقاطعين يولى صاحبه دبره، ،ويعرض عنه بوجهه. وفى الصحيحين عن النبى ﷺ قال: « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا وخيرهما الذى يبدأ السلام ». ( قوله ﷺ: ولا يبع بعضكم على بيع بعض ) وفى الصحيحين: « لا يبيع المؤمن على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه » ومعنى البيع على بيع أخيه: أن يقول لمن اشترى سلعة فى مدة الخيار: افسخ هذا البيع أنا أبيعك مثله أو أجود بثمنه أو يكون المتبايعان قد تقرر الثمن بينهما وتراضيا به، ولم يبق إلا العقد فيزيد عليه أو يعطيه بأنقص ( قوله ﷺ: وكونوا

عباد الله إخوانا) فيه إشارة إلى أنهم إذا تركوا التحاسد والتناجش والتباغض والتدابر، وبيع بعضهم على بيع بعض، كانوا إخوانا: أي تعاملوا وتعاشروا معاملة الأخوة ومعاشرتهم فى المودة والرفق والشفقة والملاطفة، والتعاون فى الخير مع صفاء القلوب والنصيحة بكل حال، وقد قال النبى ﷺ: « تهادوا فإن الهدية تسل السخيمة ». وقال الحسن: المصافحة تزيد فى المودة. ( قوله: المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره ) هذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ... ﴾ [الحجرات: ١٠] وقد قال النبى ﷺ: « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قال: يا رسول الله أنصره مظلوماً، فكيف أنصره ظالماً؟ قال تمنعه من الظلم، فذلك نصرك إياه » متفق عليه. وقال النبى ﷺ: « ما من امرئ مسلم يخذل امرءاً مسلماً فى موضع تنتهك فيه حرمته، وينتقص فيه من عرضه، إلا خذله الله فى موضع يحب فيه نصرته، وما من أمرئ ينصر أمرءاً مسلماً فى موضع ينتقص فيه من عرضه، وتنتهك فيه حرمته، إلا نصره الله فى موضع يحب

فيه نصرته » رواه أبو داود. وفى حديث آخر: « من نصر أخاه بالغيب وهو يستطيع نصره، نصره الله فى الدنيا والآخرة ». وفى مسند الإمام أحمد عن النواس بن سمعان عن النبى ﷺ قال: « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق وأنت به كاذب ». وأما الاحتقار فهو ناشىء عن الكبر، وقد قال ﷺ: «الكبر بطر الحق وغمط الناس » أي احتقارهم قال الله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء عسى أن يكنّ خيرًا منهنّ...** ﴾ [الحجرات: ١١] إلى قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾ [الحجرات: ١٣]. ( قوله ﷺ: التقوى ههنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات ). وفى رواية: « وأومأ بيده إلى القلب ». وقال ﷺ: « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ». وقال رسول الله ﷺ: « ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره،

ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتلّ جواظ مستكبر » ( قوله ﷺ: بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ) يعنى يكفيه من الشر احتقاره لأخيه المسلم، فإنه إنما يحقره لتكبره عليه، والكبر من أعظم خصال الشرك ( قوله ﷺ: كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ) هذا مما كان النبى ﷺ يخطب به فى المجامع العظيمة كما قال فى حجة الوداع يوم النحر: « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، فى بلدكم هذا، فى شهركم هذا » متفق عليه. وقد قال ﷺ: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ». وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: اجعل كبير المسلمين عندك أباً، وصغيرهم ابنا، وأوسطهم أخاً. وقال بعض السلف: ليكن حظ المؤمن منك ثلاث: إن لم تنفعه فلا تضرّه، وإن لم تفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه، وبالله التوفيق.

## ( الحديث السادس والثلاثون )

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « من نفس عن مؤمن كربةً من كرب الدنيا نفس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه. ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة. وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ». رواه مسلم بهذا اللفظ.

هذا حديث عظيم جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب، وفيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما يتيسر من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة أو غير ذلك. وفى

الحديث الآخر: « من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته».
« قوله ﷺ: من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ) الكربة: الشدة العظيمة، وهذا يرجع إلى أن الجزاء من جنس العمل، كقوله ﷺ: « إنما يرحم الله من عباده الرحماء ». وقوله: « إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا ». وفي حديث كعب ابن عجره « ومن فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربته » والتنفيس: التخفيف، والتفريج: أعظم من ذلك. وقال النبي ﷺ: « أيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيما مؤمن سقى مؤمناً على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيما مؤمن كسا مؤمنا على عرى كساه الله من خضر الجنة » رواه الترمذي. ( قوله ﷺ: ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ) التيسير: الإنظار. قال الله تعالى: ﴿ **وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسر وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾ [البقرة: ٢٨٠]. وفي الحديث الآخر: « من سره أن ينجيه الله من

كرب يوم القيامة فلينفس عن المعسر أو يضع عنه » وفى الحديث الآخر: « من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ». ( قوله ﷺ: ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة ) فيه استحباب ستر عورات المسلمين وزلاتهم. وفى الحديث الآخر: « من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها فى بيته » قال بعض السلف: أدركت قوماً لم يكن لهم عيوب، فذكروا عيوب الناس، فذكر الناس لهم عيوباً، وأدركت قوماً كانت لهم عيوب، فكفوا عن عيوب الناس فنسيت الناس عيوبهم. قال ابن دقيق العيد: الستر على المسلم أن يستر ذلاته، والمراد به الستر على ذوى الهيئات ونحوهم ممن ليس معروفاً بالفساد، وهذا فى ستر معصية وقعت وانقضت. أما إذا علم معصية وهو متلبس بها، فيجب المبادرة بالإنكار عليه ومنعه منها، فان عجز لزمه رفعها إلى ولى الأمر إن لم يترتب على ذلك مفسدة، فالمعروف بذلك لا يستر عليه، لأن الستر على هذا يطمعه فى

الفساد والإيذاء وانتهاك المحرمات، وجسارة غيره على مثل ذلك، بل يستحب أن يرفعه إلى الإمام إن لم يخف من ذلك مفسـدة ( قوله ﷺ: والله فى عون العبد مـا كان العـبد فى عون أخيه ».

هذه كلمة جامعة فى إعانة المسلم لأخيه المسلم ببدنه وماله وجاهه، وكـان عـمر بن الخطاب رضى الله عنه يتعـاهد الأرامل يستقى لهن الماء بالليل ( قوله ﷺ: ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سـهل الله له به طريقاً إلى الجنة ) قـال ابن رجب: سلوك الطريق لإلتماس العلم يدخل فى سلوك الطريق الحقيقى وهو المشى بالأقدام إلى مجالس العلماء، ويدخل فيه سلوك الطرق المعنوية مثل حفظه ومدراسته ومذاكرته ومطالعته وكتابته والتفهم فيه ونحو ذلك. وقال ابن دقيق العيد: وفى الحديث فضل السعى فى طلب العلم، والمراد العلم الشرعى. وقال الحسن: العلم علمان: علم على اللسان فذاك حجة الله على ابن آدم، وعلم فى القلب فذاك العلم النافع، وقد قال الله تعالى: ﴿ **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين* يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السـلام ويخرجهم من الظلمات**

**إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾** [المائدة: ١٥، ١٦]

(قوله ﷺ: وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينه، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده ) فيه استحباب الجلوس فى المساجد لتلاوة القرآن ومدارسته. وفى صحيح البخارى عن النبى ﷺ قال: « خيركم من تعلم القرآن وعلمه ». وكان النبى ﷺ أحيانا يأمر من يقرأ القرآن ليسمع قراءته، قال: « إنى أحب أن أسمعه من غيرى ». روى يزيد الرقاشى عن أنس قال: كانوا إذا صلوا الغداة قعدوا حلقاً حلقاً يقرؤن القرآن، ويتعلمون الفرائض والسنن ويذكرون الله تعالى. وقوله: ﴿ إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده ﴾ السكينة هنا: الطمأنينة والوقار. وفى الصحيحين عن النبى ﷺ: « يقول الله أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه حين يذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم » وقد قال الله تعالى: ﴿ يا أيها

الذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا* وسبحوه بكرة وأصيلا* وهو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما* تحتيهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرًا كريمًا ﴾ [الأحزاب: ٤١- ٤٤]. ( قوله ﷺ: ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ) أي الجزاء على الأعمال لا على الأنساب. قال الله تعالى: ﴿ ولكلٍ درجات مما عملوا...﴾ [الأنعام: ١٣٢]. وقال تعالى: ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين * الذين ينفقون في السراء والضرّاء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين* والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون* أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦]. قال ﷺ حين أنزل عليه « وأنذر عشيرتك الأقربين »: « يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيئاً » فعم وخص

حتى قال: « يا فاطمة بنت محمد سلينى من مالى ما شئت لا أغنى عنك من الله شيئاً » متفق عليه. وأخرج البزار من حديث رفاعة بن رافع أن النبى ﷺ قال لعمر: «اجمع لى من قومك » يعنى قريشاً فجمعهم فقال: « إن أوليائى منكم المتقون، فإن كنتم أولئك فذاك، وإلا فانظروا، يأتى الناس بالأعمال يوم القيامة، وتأتون بالأثقال فيعرض عنكم ». وفى هذا المعنى يقول بعضهم:

لعمرك ما الإنسان إلا بدينه فلا تترك التقوى اتكالا على النسب
لقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد وضع الشرك الشقى أبا لهب

## ( الحديث السابع والثلاثون )

عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: « إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنةً كاملة، وإن هم بها فعملها

كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنةً كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة » رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما بهذه الحروف.

فانظر يا أخى وفقنا الله وإياك إلى عظيم لطف الله تعالى، وتأمل هذه الألفاظ وقوله «عنده» إشارة إلى الاعتناء بها وقوله «كاملة» للتاكيد وشدة الاعتناء بها، وقال فى السيئة التى هم بها ثم تركها « كتبها الله عنده حسنةً كاملةً» فأكدها بكاملةٍ «وإن عملها كتبها سيئةً واحدةً» فاكد تقليلها بواحدةٍ ولم يوكدها بكاملةٍ فلله الحمد والمنة سبحانه لا نحصى ثناء عليه وبالله التوفيق.

هذا حديث شريف عظيم بين فيه النبى ﷺ مقدار ما تفضل الله عز وجل به على خلقه: من تضعيف الحسنات وتقليل السيئات، وتضمن هذا الحديث أربعة أنواع:

**الأول**: ( من همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة

كاملة ). قال أبو الدرداء: من أتى فراشه وهو ينوى أن يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى. وروي عن سعيد ابن المسيب قال: « من هم بصلاة أو صيام أو حج أو عمرة أو غزوة، فحيل بينه وبين ذلك بلغه الله تعالى مانوى ». وأخرج الإمام أحمد والترمذى عن النبى ﷺ قال: « إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً، فهو يتقى فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية، فيقول: لو أن لى مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته، فأجرهما سواء. وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً، فهو يتخبط فى ماله بغير علم لا يتقى فيه ربه، ولايصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل. وعبد لم يرزقه مالاً ولا علماً، وهو يقول: لو أن لى مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته، فوزرهما سواء »، وقد قال الله تعالى ﴿ لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على

القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرًا عظيما* درجات منه ومغفرةً ورحمةً وكان الله غفورًا رحيمًا ﴾ [النساء: ٩٥]. قال ابن عباس وغيره: المفضل عليهم درجة هم القاعدون من أهل الأعذار، والمفضل عليهم درجات هم القاعدون من غير أهل العذر.

النوع الثاني: ( من همّ بحسنة فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ). قال الله تعالى: ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون ﴾ [الأنعام: ١٦٠]. وقال تعالى: ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ [البقرة: ٢٦١]. وقال الله تعالى: ﴿ من ذا الذى يقرض الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له أضعافًا كثيرة والله يقبض ويبصّط وإليه ترجعون ﴾ [البقرة: ٢٤٥]. وقال النبى ﷺ: « كل عمل ابن آدم له، والحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ». قال الله تعالى: ﴿ إلا

الصوم فإنه لي وأنا أجزي بـه، إنه تـرك شهوتـه وطعامـه وشرابه من أجلى ﴾.

النوع الثالث: وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة: يعنى إذا لم يعمل السيئة لأجل الله تعالى كما فى حديث أبى هريرة: « إنما تركها من جرائى » فإن عزم على فعلها وسعى فى حصول ذلك فعجز عوقب عليها كما قال النبى ﷺ: « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار. قالوا يا رسول الله: هذا القاتل فمابال المقتول؟ قال إنه كان حريصاً على قتل صاحبه ». وقد قال النبى ﷺ: « إن الله تجاوز لأمتى ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل ». قال ابن المبارك: سألت سفيان الثورى: أيؤاخذ العبد بالهم؟ فقال إذا كانت عزماً أوخذ.

النوع الرابع: ( وإن همّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة ) إشارة إلى أنها غير مضاعفة كما قال تعالى: ﴿ ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، لكن

السيئة تعظم أحيانا بشرف الزمان أو المكان. قال الله تعالى: ﴿ **إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم...** ﴾ [التوبة: ٣٦]. قال ابن عباس فى كلهن، ثم اختص من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حرما، وعظم حرماتهن، وجعل الذنب فيهن أعظم، والعمل الصالح والأجر أعظم. وقال تعالى: ﴿ **الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ...** ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وكان جماعة من الصحابة يتقون سكنى الحرم خشية ارتكاب الذنوب فيه، وقد تضاعف السيئات بشرف فاعلها وقوّة معرفته بالله كما قال تعالى: ﴿ **يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً* ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحًا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريمًا** ﴾ [الاحزاب: ٣٠، ٣١] وقد قال الله تعالى: ﴿ **من عمل صالحًا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياةً طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا**

يعملون ﴾ [النحل: ٩٧]. وعن أبى ذرّ رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من صام ثلاثة أيام من كل شهر فقد صام الدهر كله ». رواه الإمام أحمد. وعن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « الجمعة كفارة لما بينها وبين الجمعة التى تليها وزيادة ثلاثة أيام » وذلك لأن الله تعالى يقول: ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ...﴾ [الأنعام: ١٦٠].

( فائدة ) زاد مسلم بعد قوله: « وإن همّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة أو محاها، ولا يهلك على الله إلا هالك » أي بعد هذا الفضل العظيم من الله بمضاعفة الحسنات، والتجاوز عن السيئات لا يهلك عليه إلا من تجرأ على السيئات، ورغب عن الحسنات. قال ابن مسعود: ويل لمن غالبت وحداته شعراته. وقد قال الله تعالى: ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما ﴾ [النساء: ٤٠].

## ( الحديث الثامن والثلاثون )

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « إن الله تعالى قال: من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدى بشىء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، لئن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيذنه » رواه البخارى.

هذا الحديث أشرف حديث فى ذكر الأولياء ( قوله تعالى: من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ) أي أعلمته بأنى محارب له. وفى حديث أبى أمامة: « من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة » وولى الله تعالى من امتثل أمره واجتنب نهيه. قال الله تعالى: ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون* الذين آمنوا وكانوا يتقون* لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم** ﴾ [يونس: ٦٢- ٦٤]. وقال تعالى:

**﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون* ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾** [المائدة: ٥٥، ٥٦]. وفى الحديث عن النبى ﷺ قال: « الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضاً، فمن آذاهم فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه » رواه الترمذى وغيره. وقال الحسن البصرى: ابن ادم هل لك بمحاربة الله من طاقة؟ فإن من عصى الله فقد حاربه ( قوله تعالى: وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ). لما ذكر الله تعالى أعداءه ذكر أولياء وقسمهم قسمين: أحدهما من تقرب إليه بأداء الفرائض وترك المحرمات. والثانى من تقرب إليه بعد الفرائض بالنوافل. فالقسم الأول المقتصدون، وهم أصحاب اليمين. والثانى المقربون، وهم السابقون الذين تقربوا إلى الله بعد الفرائض بالاجتهاد فى النوافل والطاعات، والانفكاك عن دقائق المكروهات بالورع، وذلك يوجب للعبد محبة الله تعالى. قال تعالى: **﴿ يا أيها الذين**

**آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة علي المؤمنين أعزةٍ على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾** [المائدة: ٥٤]. كان داود عليه السلام يقول فى دعائه: اللهم إنى أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب العمل الذى يبلغنى حبك. اللهم اجعل حبك أحب إلى من نفسى وأهلى، ومن الماء البارد. وروي عن النبى ﷺ أنه كان يدعو: «اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إليّ، وخشيتك أخوف الأشياء عندى، واقطع عنى حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك، فإذا قررت أعين أهل الدنيا من دنياهم، فاقرر عينى من عبادتك» وقال بعضهم:

وكن لربك ذاحب لتخدمه إن المحبين للأحباب خدام

**قال ابن رجب:** ومن أعظم ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى من النوافل كثرة تلاوة القرآن وسماعه بتفكر وتدبر وتفهم. قال خباب بن الأرتّ لرجل: تقرب إلى الله تعالى ما استطعت. واعلم أنك لن تتقرب إلى الله بشىء هو أحب إليه من كلامه. وفى

الترمذى عن أبى أمامة مرفوعاً: « ما تقرب العبد إلى الله تعالى بمثل ما خرج منه، يعنى القرآن، لاشىء عند المحبين من كلام محبوبهم، فهو لذة قلوبهم، وغاية مطلوبهم ». قال عثمان: لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم. وقال ابن مسعود: من أحب القرآن أحب الله ورسوله. قال بعض العارفين لمريد: اتحفظ القرآن؟ قال: لا، قال: واغوثاه يالله لمريد لا يحفظ القرآن، فيم يتنعم؟ فيم يترنم؟ فبم يناجى ربه تعالى. كان بعضهم يكثر تلاوة القرآن ثم اشتغل عنه بغيره، فرأى فى المنام قائلاً يقول له

إن كنت تزعم حبى ... فلم جفوت كتابى؟
أما تأملت ما فيـ ... ـه من لطيف عتابى

ومما يتقرب به العبد إلى الله تعالى كثرة ذكر الله فى كل وقت، وعلى كل حال، قال الله تعالى: ﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب* الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب

النار ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١] الآيات. وفضائل الذكر معروفة فى القرآن والسنة، وهى أشهر من أن تذكر، وأكثر من أن تحصر، وقد قال الله تعالى: ﴿ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرًا وعلانيةً يرجون تجارة لن تبور* ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضلة إنه غفور شكور* والذى أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقًا لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير* ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير * جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤًا ولباسهم فيها حرير* وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور* الذى أحلنا دار المقامة من فضلة لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ﴾ [فاطر: ٢٩- ٣٥] ( قوله: فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها ). وفى بعض الروايات: « وقلبه الذى يعقل به، ولسانه الذى ينطق به » هذا مثل

قوله: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ [النحل: ١٢٨]. قال ابن رجب: المراد من هذا الكلام أن من اجتهد بالتقرب إلى الله تعالى بالفرائض، ثم بالنوافل قربه إليه، ورقاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان، فيصير يعبد الله على الحضور والمراقبة كأنه يراه فيمتلىء قلبه بمعرفة الله تعالى ومحبته وعظمته وخوفه ومهابته وإجلاله، والأنس به، والشوق إليه حتى يصير هذا الذى فى قلبه من المعرفة مشاهداً له بعين البصيرة، فمتى امتلأ القلب بعظمة الله تعالى محا ذلك من القلب كل ما سواه، ولم يبق للعبد شيء من نفسه وهواه، ولا إرادة إلا لما يريده منه مولاه، فحينئذٍ لا ينطق العبد إلا بذكره، ولا يتحرك إلا بأمره، فإن نطق نطق بالله، وإن سمع سمع به، وإن نظر نظر به، وإن بطش بطش به، فهذا هو المراد بقوله: «كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها».

(قوله: ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيذنه) أي يصير مجاب الدعوة لكرامته على الله. وفى آخر هذا الحديث: « وما

ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته » وللطبرانى: « ولا بد له منه »، وكان النبى ﷺ يقول وهو فى سكرات الموت: « اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والأنامل؛ اللهم فأعنى على الموت وهوّنه علىّ ». وقالت عائشة رضى الله عنها: « ما أغبط أحداً يهون الله عليه الموت بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ قال: وكان عنده قدح من ماء، فيدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول: اللهم أعنى على سكرات الموت، قال: وجعل يقول: لا إله إلا الله إن للموت سكرات ». وفى الصحيحين عن النبى ﷺ قال: « إن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان من الله وكرامة، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، وأحب لقاء الله فأحب الله لقاءه ». وقد قال الله تعالى: ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون* نحن أولياؤكم فى الحياة وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون* نزلا من غفور**

رحيم ﴾ [فصلت: ٣٠- ٣٢]. قال تعالى: ﴿ كلّ نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

## ( الحديث التاسع والثلاثون )

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « إن الله تجاوز لى عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » حديث حسن، رواه ابن ماجه والبيهقى وغيرهما.

قد صرح القرآن بالتجاوز عن الخطأ والنسيان والإكراه. قال الله تعالى: ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما أكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ... ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقال تعالى: ﴿ وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم...﴾ [الأحزاب: ٥]. وفى الصحيحين عن النبى ﷺ: « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد وأخطأ

فله أجر » وقال تعالى: ﴿ **من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ...** ﴾ [النحل: ١٠٦]، والخطأ والنسيان لا إثم فيهما، ورفع الإثم لا ينافى ترتب الحكم، كما لو قتل مؤمناً خطأً فعليه الدية والكفارة بنص الكتاب. ومن نسي الوضوء وصلى ظاناً أنه متطهر، ثم تبين له أنه صلى محدثا فعليه الإعادة. ومن ترك الصلاة ناسياً فعليه القضاء، كما قال ﷺ: « من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك ». ولو صلى حاملاً فى صلاته نجاسة لا يعفى عنها ثم علم بها بعد صلاته أو فى أثنائها فأزالها، فهل يعيد صلاته أم لا؟ فيه قولان للعلماء هما روايتان عن أحمد. وقد روي عن النبى ﷺ « أنه خلع نعليه فى صلاته وأتمها. وقال: إن جبريل أخبرنى أن فيهما أذى ». وقال ﷺ: « من أكل أو شرب ناسياً فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه ». واتفق العلماء على أنه لو أكره على قتل معصوم لم يصح له أن يقتله .

## ( الحديث الأربعون )

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى فقال: « كن فى الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل. وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك » رواه البخارى.

هذا الحديث أصل فى قصر الأمل فى الدنيا، فإن المؤمن لا ينبغى له أن يتخذ الدنيا وطناً ومسكناً يطمئن فيها فإنها دار ممر، والآخرة هى دار المقر، ولهذا قال ﷺ: «كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » لأن الغريب إذا دخل بلدة لم ينافس أهلها، ولا يلج معهم فى الخصومات، وكذلك عابر السبيل لا يأخذ معه فى سفره ما يثقله ويعوقه عن بلوغ وطنه، بل يكتفى بأقل زاد ومتاع. قال الله تعالى: ﴿ إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار ﴾ [غافر: ٣٩]. وقال ﷺ: « ما لى وللدنيا إنما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب قال فى ظل شجرة ثم راح

وتركها ». وقال المسيح عيسى بن مريم عليه السلام لأصحابه: اعبروها ولا تعمروها. وكان عليّ بن أبى طالب رضى عنه يقول: إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

ودخل رجل على أبى ذر، فجعل يقلب بصره فى بيته. فقال يا أبا ذر أين متاعكم؟ فقال إن لنا بيتا نتوجه إليه. فقال إنه لا بد لك من متاع مادمت هاهنا. فقال إن صاحب المنزل لا يدعنا ههنا. قال الحسن: المؤمن كالغريب لا يجزع من ذلها، ولا ينافس فى عزها، له شأن، وللناس شأن. وقال ابن القيم رحمه الله تعالى:

فحى على جنات عدن فإنها ... منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبى العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم

وكان عطاء السلمى يقول فى دعائه: اللهم ارحم فى الدنيا

غربتى، وارحم فى القبر وحشتى، وارحم موقفى غداً بين يديك.
وقال بعضهم:

ترحل عــن الـدنيا بـزاد من التقــى     فعمـرك أيـام وهـن قـلائــل
وما أقبح التفريط فى زمن الصبا     فكيف به والشيب للرأس شاعل

قال المروزى: قيل لأبى عبد الله: أي شيء الزهد فى الدنيا؟ قال: قصر الأمل، ومن إذا أصبح قال لا أمسى. وقال أبو بكر المزنى: إن استطاع أحدكم أن لا يبيت إلا وعهده عند رأسه مكتوب فليفعل، فإنه لا يدرى لعله أن يبيت فى أهل الدنيا ويصبح فى أهل الآخرة. وقال بعض السلف:

إنا لنفرح بالأيــام نقطعهــا     وكـل يوم مضى يدنى من الأجل
فـاعمل لنفسك قبل الموت مجتهداً     فإنما الربح والخسران فى العمل

( قوله: وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك)

يعنى اغتنم الأعمال الصالحة قبل أن يحال بينك وبينها. وفى صحيح البخارى عن النبى ﷺ قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ». وفى صحيح الحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لرجل وهو يعظه: « اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك »، وقد قال الله تعالى: ﴿ وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأيتكم العذاب ثم لا تنصرون * واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون* أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله وإن كنت لمن الساخرين* أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين* أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرّة فأكون من المحسنين ﴾ [الزمر: ٥٤- ٥٨]. وقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أمولكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون * وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت

**فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين * ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون ﴾**
[المنافقون: ٨- ١١]

## ( الحديث الحادى والأربعون )

عن أبى محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » حديث حسن صحيح رويناه فى كتاب الحجة بإسناد صحيح.

هذا الحديث موافق لقوله تعالى﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بيهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا** ﴾ [النساء: ٦٥]. وسبب نزول هذه الآية: « أن الزبير بن العوام رضى الله عنه كان بينه وبين رجل من الأنصار خصومة فى ماء، فتحاكما إلى رسول الله ﷺ فقال: اسق يا زبير وسرح الماء إلى جارك - يحضه على المسامحة والتيسير - فقال

الأنصارى يا رسول الله، أن كان ابن عمتك فتلوّن وجه رسول الله ﷺ، ثم قال يا زبير: أحبس الماء حتى يبلغ الجدر ثم سرحه » وذلك أن رسول الله ﷺ كان أشار على الزبير بما فيه مصلحة الأنصارى، فلما أحفظه الأنصارى بما قال: أي أغضبه استوعب للزبير حقه الذى يجب له. وقال تعالى: ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنه إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبينًا** ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وفى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال: « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده وأهله والناس أجمعين ». وقال تعالى: ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** ﴾ [آل عمران: ٣١]. قال يحيى بن معاذ: ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده. وقال بعضهم:

تعصى الإلـه وأنت تـزعم حبه ... هذا لعمرى فى القياس شنيـع
لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

فجميع المعاصى والبدع إنما تنشأ من تقديم هوى النفس على محبة الله ورسوله. قال الله تعالى: ﴿ **فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدىً من الله ...** ﴾ [القصص: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿ **فأما من طغى* وآثر الحياة الدنيا* فإن الجحيم هى المأوى* وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى* فإن الجنة هى المأوى** ﴾ [النازعات: ٣٧- ٤١].

## ( الحديث الثاني والأربعون )

عن أنس رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك، يا ابن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة » رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

فى هذا الحديث بشارة عظيمة، وحلم وكرم عظيم، وما لا يحصى من أنواع الفضل والإحسان والرأفة والرحمة والامتنان (قوله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى، يا إبن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ) يعنى غفرت على عظم ذنوبك وكثرة خطاياك. وفى الصحيح عن النبى ﷺ قال: « إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شىء ». وفى صحيح الحاكم عن جابر: « أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ وهو يقول: واذنوباه مرتين أو ثلاثا. فقال له النبى ﷺ: قل اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبى، ورحمتك أرجى عندى من عملى فقالها، ثم قال له عد فعاد، ثم قال له عد فعاد، فقال له قم قد غفر الله لك » وقد قال تعالى: ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون** ﴾ [آل عمرآن: ١٣٥]. وقال عز وجل: ﴿ **ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورًا رحيما** ﴾

[النساء: ١١٠] وقال الحسن: أكثروا من الاستغفار فى بيوتكم وعلى موائدكم وفى طرقكم وفى أسواقكم وفى مجالسكم وأينما كنتم، فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة. وعن أبى هريرة مرفوعاً: « بينما رجل مستلق إذا نظر إلى السماء وإلى النجوم فقال: إنى لأعلم أن لك رباً خالقاً اللهم اغفر لى فغفر له » رواه ابن أبى الدنيا. وعن شداد بن أوس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علىّ، وأبوء بذنبى، فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » رواه البخارى. وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: « إن كنا لنعدّ لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد مائة مرة يقول: رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الغفور » أخرجه الأربعة. وفى سنن أبى داود عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: « من اكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا

يحتسب ». قال قتادة: إن هذا يدلكم على دائكم ودوائكم، فأما داؤكم فالذنوب، وأما دواؤكم فالاستغفار. وفى الدعاء المأثور: «اللهم إنى أسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب ». قال بعضهم:

أستغفر الله مما يعلم الله إن الشقى لمن لا يرحم الله
ما أحلم الله عمن لا يراقبه كل مسىء ولكن يحلم الله
فاستغفر الله مما كان من زلل طوبى لمن كف عما يكره الله
طوبى لمن حسنت منه سريرته طوبى لمن ينتهى عما نهى الله

( قوله تعالى: يا ابن ادم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً، لأتيتك بقرابها مغفرة ) قراب: الأرض ملؤها أو ما يقارب ملأها. قال الله تعالى: ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ...﴾ [النساء: ٤٨]. وفى المسند عن شداد بن أوس وعبادة بن الصامت رضى الله عنهما « أن النبى ﷺ قال لأصحابه: أرفعوا أيديكم وقولوا لا إله

إلا الله، فرفعنا أيدينا ساعة، ثم وضع رسول الله ﷺ يده ثم قال: الحمد لله. اللهم بعثتنى بهذه الكلمة، وأمرتنى بها، ووعدتنى الجنة عليها، وإنك لا تخلف الميعاد، ثم قال: أبشروا فإن الله قد غفر لكم ».

هذا آخر ما ذكره النووى رحمه الله تعالى من الأحاديث الجامعة لأنواع العلوم والآداب والحكم والثمانية الآتية من تتمة الحافظ الفقيه المحدث الواعظ أبى الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلى رحمه الله تعالى.

## ( الحديث الثالث والأربعون )

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « ألحقوا الفرائض بأهلها، فما أبقت الفرائض فلأولى رجل ذكر » اخرجه البخارى ومسلم.

هذا الحديث مشتمل على أحكام المواريث، وجامع لها (قوله ﷺ: ألحقوا الفرائض بأهلها ). وفى رواية: «اقسموا المال بين أهل

الفرائض على كتاب الله» يشير إلى قوله تعالى: ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين... ﴾ [النساء: ١١] الآيتين. وقوله: ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤٌ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك ... ﴾ [النساء: ١٧٦] الآية، فاشتملت الآيات على ميراث الأولاد والوالدين والأزواج والزوجات والإخوة والأخوات، فقوله تعالى: ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فإن كن نساءً فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدةً فلها النصف... ﴾ [النساء: ١١] يشمل ميراث الأولاد ذكوراً كانوا أو إناثاً، ويدل على ميراث الأب والأم قوله تعالى: ﴿ ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصيةٍ يوصي بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعًا فريضة من الله إن الله كان عليمًا حكيمًا ﴾ [النساء: ١١] ثم بين ميراث الرجل من امرأته فقال: ﴿ ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن

ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصيةٍ يوصين بها أو دين... ﴾ [النساء: ١٢]؛ ثم بين ميراث المرأة من زوجها فقال: ﴿ ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصيةٍ توصون بها أو دين... ﴾ [النساء: ١٢]؛ ثم بين ميراث الإخوة من الأم فقال: ﴿ وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصيةٍ يوصى بها أو دين غير مضارّ وصيةً من الله والله عليم حليم ﴾ [النساء: ١٢] ثم توعد تعالى من تجاوز هذه الفرائض المقدرة فقال: ﴿ تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم* ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارًا خالدًا فيها وله عذاب مهين ﴾ [النساء: ١٣، ١٤]، وبين ميراث الإخوة من الأب فى آخر السورة فقال: ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤٌ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءًا فللذكر مثل حظ

**الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم ﴾** [النساء: ١٧٦]. ( قوله ﷺ: فما أبقت الفرائض فلأولى رجل ذكر): أي أقرب رجل من العصبة وهم البنوّة، ثم بنوهم وإن سفلوا، ثم الأب، ثم الجد وإن علا، ثم الأخ الشقيق، ثم الأخ من الأب، ثم بنوهم كذلك وإن سفلوا، ثم الأعمام، ثم بنوهم كذلك وإن سفلوا، ثم الأعمام، ثم بنوهم كذلك، ثم المولى المعتق، ثم عصباته.

## ( الحديث الرابع والأربعون )

عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال: «الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة » اخرجه البخارى ومسلم.

هذا الحديث من جوامع الكلم. وفى رواية: « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » وقد قال تعالى: **﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشةً ومقتًا وساء سبيلا* حرّمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم**

**وخالاتكم وبنـات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتـى أرضعنكم وأخـواتكم من الـرضـاعـة وأمـهـات نسـائكم وربائبـكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عـليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصـلابكم وأن تجمـعوا بين الأخـتين إلا ما قـد سلف إن الله كـان غفـوراً رحيـماً ﴾** [النساء: ٢٢، ٢٣] فكل هؤلاء يحـرمن من الرضـاع كـمـا يحـرمن من النسب ( قوله: إلا ما قد سلف ) أي مامضى فى الجاهلية فهو معفوٌ عنه ( قوله: وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ) احتراز من الأدعياء الذين كانوا يتبنونهم فى الجاهليـة كما قال تعالى: **﴿ فلمـا قضى زيد منهـا وطرًا زوجناكـهـا لكيلا يـكون على المؤمنين حـرج فى أزواج أدعـيـائهم إذا قـضـوا مـنهن وطرًا وكـان أمـر الله مفعولاً ﴾** [النساء: ٣٧] فتحرم على الرجل حلائل أبنائه وأبناء أبنائه وإن سفلوا من الرضاع والنسب، وكذلك حلائل أبيه وأجداده وإن علوا، والله أعلم.

## ( الحديث الخامس والأربعون )

عن جابر رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ عام الفتح وهو بمكة يقول: « إن الله عزّ وجلّ ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخزير والأصنام، فقيل: يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن، ويدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس؟ قال: لا، هو حرام، ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: قاتل الله اليهود، إن الله حرم عليهم الشحوم فأجملوه، ثم باعوه فأكلوا ثمنه » اخرجه البخارى ومسلم.

( قوله ﷺ: إن الله عز وجل ورسوله حرّم بيع الخمر ) قال القرطبى: إنه ﷺ تأدب فلم يجمع بينه وبين اسم الله فى ضمير الاثنين. وقال الحافظ ابن حجر العسقلانى: وقد صح حديث أنس « إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر الأهلية » ( قوله: أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن، ويدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس ) قال: لا، هو حرام، أي البيع. وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: بلغ عمر رضى الله عنه أن فلانا باع

خمراً فقال: قاتل الله فلاناً، ألم يعلم أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله اليهود حرّمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها» متفق عليه. زاد أبو داود: «وإن الله إذا حرّم أكل شيء حرم ثمنه». (قوله: فأجملوه) أي أذابوه. وفى الحديث إبطال الحيل والوسائل إلى المحرم. والأصنام: جمع صنم، وهو ما كان مصوراً. والوثن: ماله جثة، فبينهما عموم وخصوص وجهى، فإن كان مصوراً فهو وثن وصنم. قال الحافظ ابن حجر: والظاهر أن النهى عن بيعها للمبالغة فى التنفير عنها ويلتحق بها فى الحكم الصلبان التى تعظمها النصارى، ويحرم نحت جميع ذلك وصنعته. وقال ابن رجب: فالحاصل أن ما حرم الله الانتفاع به فإنه يحرم بيعه وأكل ثمنه كما جاء مصرحاً به: «إن الله إذا حرّم شيئاً حرّم ثمنه» وهذه كلمة عامة جامعة تطرد فى كل ما كان المقصود من الانتفاع به حراماً وهو قسمان:

**القسم الأول:** ما كان الانتفاع به حاصلاً مع بقاء عينه كالأصنام، فإن منفعتها المقصودة منها الشرك بالله وهو أعظم

المعاصى على الإطلاق، ويلتحق بذلك ما كانت منفعته محرمة، ككتب الشرك والسحر والبدع والضلال، وكذلك الصور المحرمة، وآلات الملاهى المحرمة كالطنبور، وكذلك شراء الجوارى للغناء.

**والقسم الثانى**: مالا ينتفع به مع إتلاف عينه، فإذا كان المقصود الأعظم منه محرماً فإنه يحرم بيعه كما يحرم بيع الخنزير والخمر والميته إلى أن قال: وقد اختلف العلماء فى الانتفاع بشحوم الميتة انتهى. قال فى الاختيارات: وقرن الميتة وعظمها وظفرها، وما هو من جنسه كالحافر ونحوه طاهر، وقاله غير واحد من العلماء ويجوز الانتفاع بالنجاسات، سواء فى ذلك شحم الميتة وغيره، وهو قول الشافعى، وأومأ إليه أحمد فى رواية ابن منصور . وقال أيضاً: ويطهر جلد الميتة الطاهرة حال الحياة بالدباغ، وهو رواية عن أحمد إنتهى، والله أعلم.

## ( الحديث السادس والأربعون )

عن أبى بردة عنه أبيه عن أبى موسى الأشعرى « أن

النبى ﷺ بعثه إلى اليمن فسأله عن الأشربة تصنع بها، فقال: وما هى؟ قال: البتع والمزر، فقيل لأبى بردة: ما البتع؟ قال نبيذ العسل، والمزر: نبيذ الشعير، فقال: كل مسكر حرام» اخرجه البخارى.

هذا الحديث أصل فى تحريم جميع المسكرات المغطية للعقل.

وفى الصحيحين عن ابن عمر قال: قام عمر رضى الله عنه على المنبر فقال:

« أما بعد: نزل تحريم الخمر وهى من خمس: العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير، والخمر ما خامر العقل ». وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال: « كل مسكر حرام، وما أسكر الفرق فملأ الكف منه حرام » رواه أبو داود والترمذى وحسنه.

قال ابن رجب: واعلم أن المسكر المزيل للعقل نوعان:

الأول: ما كان فيه لذة وطرب، فهذا هو الخمر المحرم شربه، وأدخلوا فى ذلك الحشيشة التى تعمل من ورق العنب وغيرها مما يؤكل لأجل لذته وسكره. وفى سنن أبى داود من حديث شهر بن

حوشب عن أم سلمة قالت: «نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر» والمفتر هو المخدر للجسد، وإن لم ينته إلى حد الإسكار.

**والثانى**: ما يزيل العقل ويسكره لا للذة فيه ولا طرب كالبنج ونحوه. فقال أصحابنا: إن تناوله لحاجة التداوى به وكان الغالب منه السلامة جاز انتهى ملخصاً.

وأما التنباك الذى افتتن الناس به فى هذه الأزمنة فقد اختلف العلماء فيه؛ فمنهم من حرمه، ومنهم من كرهه ولم يحرمه، والراجح تحريمه لأنه يزيل العقل فى بعض الأحيان، وهو مضر بالجسد، مضيع للمال، خبيث الرائحة. وأما قياسه على قهوة البن فهو قياس فاسد، فإن البن من الطيبات، والتنباك ونحوه من الخبائث. وقد قال الله تعالى: ﴿ **ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث** ... ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وكثير ممن يشربون التنباك لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى، وقد قال الله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان**

**فاجتنبوه لعلكم تفلحون* إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾** [المائدة: ٩٠، ٩١].

## ( الحديث السابع والأربعون )

عن المقدام بن معد يكرب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ماملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنٍ، بحسب ابنه آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه » رواه الإمام أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه، وقال الترمذى حديث حسن.

هذا الحديث له سبب وهو مارواه أبو القاسم البغوى فى معجمه من حديث عبد الرحمن ابن المرقع قال: فتح رسول الله ﷺ خيبر وهى مخضرة من الفواكه، فوقع الناس فى الفاكهة فغشيتهم الحمى، فشكوا إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «إنما الحمى رائد الموت، وسجن الله فى الأرض، وهى قطعة

من النار، فإذا أخذتكم فبردوا الماء فى الشتان، فصبوها عليكم بين الصلاتين » يعنى المغرب والعشاء. قال: ففعلوا ذلك فذهبت عنهم. فقال رسول الله ﷺ: « لم يخلق الله وعاء إذا ملىء شراً من بطن، فإذا كان لابد فاجعلوه ثلثاً للطعام، وثلثاً للشراب، وثلثاً للريح »، وهذا الحديث أصل جامع لأصول الطب كلها. وقال الحارث بن كلدة طبيب العرب: الحمية رأس الدواء، والبطنة رأس الداء. وقال الحسن رحمه الله تعالى: يا ابن آدم كل فى ثلث بطنك، واشرب فى ثلث، ودع ثلث بطنك يتنفس ويتفكر. وقال محمد بن واسع: مقل طعامه فهم وأفهم وصفا ورق، وإن كثر الطعام ليثقل صاحبه عن كثير مما يريد. وعن مالك بن دينار قال: لا ينبغى للمؤمن أن يكون بطنه أكبر همه، وأن تكون شهوته هى الغالبة. وعن عثمان بن زائدة قال: كتب إلى سفيان الثورى إن أردت أن يصح جسمك، ويقل نومك، فأقل من الأكل. وقد قال ﷺ: « طعام الواحد يكفى الاثنين، وطعام الاثنين يكفى الثلاثة، وطعام الثلاثة يكفى الأربعة ». وفى مسند البزار وغيره عن فاطمة

رضى الله عنهـا عن النبى ﷺ قال: « شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم يأكلون ألوان الطعام، ويلبسون ألوان الثياب، ويتشدقون فى الكلام ». وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « إن أخوف ما أخاف عليكم الشهوات التى فى بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى » رواه الإمام أحمد. وقد قال الله تعالى: ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًا* إلا من تاب وآمن وعمل صالحًا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئًا* جنات عدنٍ التى وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتيًا* لا يسمعون فيها لغوًا إلا سلامًا ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًا* تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيًا ﴾ [مريم: ٥٩- ٦٣].

## ( الحديث الثامن والأربعون )

عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال: « أربع من كن فيه كان منافقًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه

خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذ وعد أخلف، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر »، اخرجه البخارى ومسلم.

**النفاق**: هو إظهار الخير، وإسرار الشر، وهو نوعان: اعتقادى وعملى. وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: « آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان ». وفى رواية لمسلم: « وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم ». فالاعتقادى هو النفاق الأكبر وصاحبه مخلد فى النار. قال الله تعالى: ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين* يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم ما يشعرون* فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضًا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون** ﴾ [البقرة: ٨- ١٠]. وقال تعالى: ﴿ **إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً* إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيما** ﴾ [النساء: ١٤٥، ١٤٦].

والنفاق العملى: هو النفاق الأصغر وهو من أكبر الذنوب. وأصول هذا النفاق خمس:

**الأول:** الكذب. وفى المسند عن النبى ﷺ قال: « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديث هو لك مصدق، وأنت به كاذب ». قال الحسن: كان يقال النفاق اختلاف السر والعلانية. والقول والعمل، والمدخل والمخرج. وكان يقال: أساس النفاق الذى بنى عليه الكذب.

**الثاني:** إذا وعد أخلف: أي من غير عذر. وفى مراسيل الحسن عن النبى ﷺ قال: «العدة هبة »، وقد قال الله تعالى: ﴿ **واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد...** ﴾ [مريم: ٥٤].

**الثالث:** إذا خاصم فجر. قال الله تعالى: ﴿ **ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدينا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام** ﴾ [البقرة: ٢٠٤]. وفى الصحيحين عن النبى ﷺ: « إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم ». وقال ﷺ: « إنكم

تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له بنحو مما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه بشيء، فإنما أقطع له قطعة من النار » متفق عليه. وقال ﷺ: « من خاصم فى باطل وهو يعلمه لم يزل فى سخط الله حتى ينزع ».

**الرابع**: إذا عاهد غدر: أي لم يف بعهده. قال الله تعالى: ﴿ **وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا** ﴾ [الاسراء: ٣٤]. وفى الصحيحين عن النبى ﷺ قال: « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر، فحلف بالله لأخذها بكذا فصدقه وهو على غير ذلك، ورجل بابيع إماما لا يبايعه إلا للدنيا، فإن أعطاه منها وفى، وإلا لم يف ».

**الخامس**: الخيانة فى الأمانة. قال الله تعالى: ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل...** ﴾ [النساء: ٥٨]. قال النبى ﷺ: « أد الأمانة إلى من

ائتمنك، ولا تخن من خانك ». وقال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** ﴾ [الأنفال: ٢٧]. قال ابن عباس: لا تخونوا الله بترك فرائضة، والرسول بترك سنته، وتخونوا أماناتكم هى ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله، والأعمال التى اؤتمن العباد عليها. قال قتادة: اعلموا أن دين الله أمانة، فأدوا إلى الله عز وجل ما إئتمنكم عليه من فرائضة وحدوده، ومن كانت عليه أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها. قال ابن مسعود: والأمانة فى الصلاة والأمانة فى الصوم، والأمانة فى الحديث، وأشد من ذلك الودائع. وقد قال الله تعالى: ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولا* ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورًا رحيما** ﴾ [الاحزاب: ٧٢، ٧٣].

## ( الحديث التاسع والأربعون )

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « لو أنكم توكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً » رواه الإمام أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم، وقال الترمذى: حسن صحيح.

هذا الحديث أصل عظيم فى التوكل. وقد قال الله تعالى: ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجًا* ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ آمره قد جعل الله لكل شىء قدرا** ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] وحقيقة التوكل هو اعتقاد القلب على الله عز وجل فى استجلاب المصالح، ودفع المضارّ. قال سعيد بن جبير: التوكل جماع الإيمان. وفى حديث ابن عباس عن النبى ﷺ قال: « من سرّه أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله». وفى الدعاء المأثور: اللهم إنى أسألك صدق التوكل عليك. اللهم اجعلنى ممن توكل عليك فكفيته.

واعلم أن التوكل لا ينافى السعى فى الأشياء، فإن الطير تغدو فى طلب رزقها، وقد قال الله تعالى: ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين** ﴾ [هود: ٦]. قال يوسف بن أسباط: كان يقال: اعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله، وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كتب له. وفى حديث ثوبان عن النبى ﷺ قال: « إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ». وفى حديث جابر عن النبى ﷺ: « لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله واجملوا فى الطلب، خذوا ما حلّ، ودعوا ما حرم ». وقال ابن عباس: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ **وتزوّدوا فإن خير الزاد التقوى** ﴾. وقال معاوية بن قرة: لقى عمر بن الخطاب ناساً من أهل اليمن. فقال من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون. قال: بل أنتم المتأكلون، إنما المتوكل الذى يلقى حبه ويتوكل على الله، وقد قال النبى ﷺ: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن

الضعيف وفى كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان » رواه مسلم.

## ( الحديث الخمسون )

عن عبد الله بن بسر قال: « أتى النبى ﷺ رجل فقال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت على فباب نتمسك به جامع، قال: لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله » اخرجه الإمام أحمد بهذا اللفظ.

هذا الحديث موافق لقوله تعالى: ﴿ **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب* الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار* ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من**

أنصار* ربنا إننا سمعنا مناديًا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار* ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ﴾ [آل عمران: ١٩٠- ١٩٤]. وفى صحيح ابن حبان وغيره من حديث معاذ بن جبل قال: « آخر ما فارقت عليه رسول الله ﷺ أن قلت له: أي الأعمال خير وأقرب إلى الله؟ قال: أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله ». وقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا * وسبحوه بكرة وأصيلاً ﴾ [الاحزاب: ٤١، ٤٢]. وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «استكثروا من الباقيات الصالحات، قيل وما هن يا رسول الله؟ قال: التكبير والتسبيح والتهليل والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله » رواه الإمام أحمد والنسائى وابن حبان فى صحيحه. وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت: « كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه ». وقال أبو الدرداء: الذين لا تزال ألسنتهم رطبة من ذكر الله يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك.

وقال ابن مسعود فى قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته...** ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. قال: أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر. قال الحسن: أحب عباد الله إلى الله أكثرهم له ذكراً وأتقاهم قلبا. وقال كعب: من أكثر ذكر الله برئ من النفاق. وقد قال الله تعالى: ﴿ **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب* الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مئاب** ﴾ [الرعد: ٢٨، ٢٩]. وقال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين كلموا الله كثيراً، وكلموا الناس قليلا. قالوا كيف نكلم الله كثيراً؟ قال اخلوا بمناجاته، اخلوا بدعائه. وكان أبو مسلم الخولانى كثير الذكر فرآه بعض الناس فأنكر حاله. فقال لأصحابه: أمجنون صاحبكم؟ فسمعه أبو مسلم. فقال: لا يا أخى، ولكن هذا دواء الجنون. وقيل لمحمد بن النضر: ألا تستوحش وحدك؟ قال كيف أستوحش وهو يقول: «أنا جليس من ذكرنى» وفى صحيح البخارى عن عبادة عن النبى ﷺ قال: «من تعارّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا

شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: رب اغفر لى، أو قال: ثم دعا استجيب له، فإن عزم فتوضأ ثم صلى قبلت صلاته ». وعن ابن عمر مرفوعا: « من دخل سوقا يصاح فيه ويباع فيه فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت وهو حى لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شىء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة » رواه أحمد والترمذى وابن ماجه. وكان النبى ﷺ يحب جوامع الكلم فى الذكر والدعاء، وكان أكثر دعائه «ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار». وكان يقول: « سبحان الله وبحمده عدد خلقه، وزنة عرشه، ورضا نفسه، ومداد كلماته، ومنتهى رحمته، والحمد لله مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، والله أكبر مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك ». وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله

ﷺ «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، سبحان الله وبحمده، سبحانه الله العظيم».

هذه الآية جامعة لمعنى ما تقدم من الأحاديث وشرحها. قال الله تعالى: ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

آخر ما يسره الله على هذه الخمسين حديثا، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

# فهرس الكتاب

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



# فهرس الأحاديث

الصفحة

* * *

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

طبع بمطابع دار الحرمين للطباعة - القاهرة . ت : ٨٢٠٣٩٢ فاكس : ٢٤٧٠٧٣٥


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com




دار الحرمين للطباعة - القاهرة . ت : ٨٢٠٣٩٢ فاكس : ٢٤٧٠٧٣٥